الغرائز والدّوافع الإنسانيّة

بين البناء والهـدم

الدكتور

أدهم رأفت عمرو

اســـم الكتـــاب: **الغرائز والدّوافع الإنسانيّة بين البناء والهدم.**

اســـم المؤلـــف: **الدكتور أدهم رأفت عمرو.**

رقـــم الإيـــداع: **(34171 / 2024).**

الترقيـــم الـــدولي: **978-977-8877-17-5**

سنـــة الإنتـــاج: **2025.**

جميع الحقوق محفوظة

يطلب الكتاب على العنوان التالي:

الثقافة الروسية للنشـــر

واتساب وتلغرام: 00201060253858

russianculture.egypt@gmail.com

دار عـقـــل للنشـــر

واتساب وتلغرام: 00963932832010

aklpublishing@gmail.com

القاهـــــرة - دمشـــــق

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي خلق فسوى وقدر فهدى، خلق الخلق بقدرته وأعطى كل شيء خلقه ثم هدى، سبحانه من إله كريم يعطي ويمنع، ويغير ولا يتغير، وبعزته سبحانه يبدل ولا يتبدل. فالله تبارك وتعالى قد خلق الإنسان في أحسن تقويم، وكرمه وميزه عن سائر الموجودات، وهذا التكريم الإلهي والتشريف الرباني للخليفة الأول يستحق من الإنسان أن يشكر المنعم على ما أنعم به عليه، وكيف لا يستحق الشكر وهو الذي قال: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[1]، وهو القائل: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[2].

ومن هنا فقد خلق الله الإنسان على هذه الصورة الحسنة، وهذا التقويم السليم وجعل فيه الغرائز والدوافع مثل: الحب، والدفاع، والغضب، والشهوة، وحب الظهور، والخوف، والهرب، والكفاح والاستطلاع، والاجتماع، وغير ذلك ممّا في داخل النفس الإنسانية.

والناظر للدين الحنيف يجد أنه يحدد للإنسان خطوطًا يسير عليها لا يحيد عنها لأن في استقامته عليها ينصلح الحال والمآل، وبالاعوجاج عنها والميل يتخبط الإنسان في ظلمات التيه والحيرة ويصبح في حالة همجية وبهيمية.

وقد كان للإسلام دورًا عظيمًا في ضبط الغرائز الإنسانية وعدم تركها لأهوائها؛ حتى لا تميل إلى الشهوات والفجور والانحطاط في

---

(1) سورة التغابن من الآية: 3.

(2) سورة التين، آية: 4.

مستنقع المعاصي، وجاء الحديث عن النفس على لسان امرأة العزيز في قول الله تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ... ﴾[1]. وفي هذا توضيح كافٍ لطبيعة عمل النفس؛ فهي ليستْ آمرةً بالسوء، بمعنى أنها تأمر الإنسان لتقع منه المعصية مرة واحدة وينتهي الأمر. لا، بل انتبه أيها الإنسان إلى حقيقة عمل النفس، فهي دائمًا أمَّارة بالسوء".[2]

يُعدّ الكشف عن ((**الغرائز والدوافع الإنسانية**)) أمرًا مهمًا في هذه الآونة التي طغت فيها المادة على الروح خاصة في زمن التكنولوجيا أو الرقمنة وغير ذلك من مستحدثات العصر الحديث. وبالتالي فإن موضوع الغرائز والدوافع الإنسانية كان له النصيب الأوفى من الرعاية والتوجيه في جميع الشرائع الإسلامية والتعاليم الإلهية، والبحث فيه يعدّ مفتاحًا للسير في العلوم الإنسانية وتطبيقها على أرض الواقع بصورة عملية.

(1) سورة يوسف من الآية: 53.

(2) تفسير الشعراوي – الخواطر محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ) مطابع أخبار اليوم، نشر عام 1997 م (11/ 6992).

المبحث الأول

ماهية الغرائز والدوافع ومكانتهما في الفكر الإنساني

مما لا مجال فيه للشك أن الغرائز والدوافع الإنسانية قد شغلت عقول علماء الفكر الإنساني وعلى رأسهم علماء النفس خاصةً وأنّ الغرائز الإنسانية تتعلق تمامًا بالنفس الإنسانية التي هي محطّ التكليف الإلهي، وقد تناول علماء اللغة العربية هذه المصطلحات في ثنايا كتبهم فالكلمة لها أصل ودلالة في لغة العرب.

الغريزة في اللغة:

جاء في معجم لسان العرب لابن منظور قوله: "والغَرِيزَةُ: الطبيعةُ والقريحةُ والسَّجِيَّة مِنْ خَيْرٍ أَو شَرٍّ؛ وَقَالَ اللِّحْيَانِيُّ: هِيَ الأَصل وَالطَّبِيعَةُ". قَالَ الشَّاعِرُ: "إِنّ الشَّجاعَةَ، فِي الفَتى... والجُودَ مِنْ كَرَمِ الغَرائزْ".

وَفِي حَدِيثِ عُمَرَ، ﷺ: (الجُبْنُ والجُرْأَةُ غَرائزُ....) "أَي أَخلاق وَطَبَائعُ صَالِحَةٌ أَو رَدِيئَةٌ. واحدتها غريزة.."[1] ومن هنا يظهر أن الغريزة تعني السجية التي تحمل في طياتها الخير والشر. وجاء في معجم الفقهاء أن "الغريزة: بفتح الغين والزاي، ج غرائز، الدافع للإنسان إلى عمل من غير فكر، وهي جزء من الفطرة..."[2]

(1) لسان العرب، مرجع سابق، 387/5.

(2) معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي، نشر دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1408هـ - 1988م، ص330.

الغريزة في الاصطلاح:

عرفها فرويد بأنها "عبارة عن قوة نفترض وجودها وراء التوترات المتأصلة في حاجات الكائن الحي وتمثل مطلب الجسم من الحياة النفسية، وهدفها القضاء على هذا التوتر، وموضوعها هو الأداة التي تحقق الإشباع، وتوجد الغرائز الأساسية وهي غريزة الحياة ويقابلها غريزة الموت ويوجد صراع دائم بينهما، والسلوك يكون مزيجًا متوافقًا أو متعارضًا من الغريزتين، ويؤدي فساد هذا المزيج إلى اضطراب السلوك."[1] ومن خلال التعريف السابق لمصطلح الغريزة عند العالم النفسي فرويد نجد أنها مطلب نفسي من مطالب الحياة والتي لا تتحقق إلا بالإشباع لها والاستجابة لمطالبها.

كما نجد أن الجاحظ فقد عرفها بأنها: "قوى معروفة المقدار، وشهوات مصروفة في وجوه حاجات النفوس، مقسومة عليها. لا يجوز تعطيلها وترك استعمالها ما كانت النفوس قائمة بطبائعها ومزاجاتها وحاجاتها".[2]

كما نجد **الدكتور حامد عبد السلام زهران** يعرفها بأنها "استعداد فطري نفسي يحمل الكائن الحي على الانتباه إلى مثير معين يدركه حسيًا وينفعل به وينزع إلى الاستجابة بسلوك معين تجاهه".[3]

---

(1) التوجيه والإرشاد النفسي، الدكتور حامد عبد السلام زهران، عالم الكتب، الطبعة: الثالثة، ص125.

(2) الحيوان، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: 255هـ) دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، 1424هـ (1/ 73).

(3) المرجع السابق، ص165.

وعلى أية حال فإن الغريزة مبنية على أمرين هما: الأول: الاستعداد الفطري، والثاني: الاستجابة لهذه الغريزة ولكن بسلوك معين مرتبط تمامًا بالشخص، وعليه فهي متأصلة في النفس البشرية ولكن متفاوتة من شخص لشخص آخر.

تعريف الدافع في اللغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور أن "الدوافع أسافل الميث حيث تدفع في الأودية، أسفل كل ميثاء دافعة. وقال الأصمعي: الدوافع مدافع الماء إلى الميث، والميث تدفع إلى الوادي الأعظم. والدافعة: التلعة من مسايل الماء تدفع في تلعة أخرى إذا جرى في صبب وحدور من حدب، فترى له في مواضع قد انبسط شيئًا واستدار ثم دفع في أخرى أسفل منها، فكل واحد من ذلك دافعة والجمع الدوافع".[1]

تعريف الدافع في الاصطلاح:

يعرفه الدكتور جميل صليبا بقوله: "بأنه هو المحرك. وأكثر ما يطلق هذا اللفظ على الدوافع الانفعالية أو اللاشعورية التي تحرك نشاط الفرد وتوجهه إلى غاية معينة. ومعنى الدافع لا ينفصل عن معنى الحركة، فهو عند أرسطو المحرك أو المتحرك أو القابل للحركة. قال: كل شيء فهو متحرك أو محرك، أي متحرك من جهة ما هو متغير، ومحرك من جهة ما هو علة للتغير. فالدافع إذن مبدأ الفعل والتغير".[2]

ومن خلال التعريفين السابقين لمصطلح الدافع نجد أنه يعني المحرك الذي يحرك الإنسان ويدفعه إلى فعل الأشياء سواء أكانت حسنة أم

(1) لسان العرب (8/ 88).

(2) المعجم الفلسفي/ الدكتور جميل صليبا (1 / 557).

قبيحة، وعليه فالدوافع قد تكون شعورية، وقد تكون غير شعورية، وبناء على ذلك فإن الحافز الذي يدفع الإنسان إلى فعل الحسن إنما هو الفطرة التي بداخل الإنسان التي جبل عليها، والذي يدفعه إلى فعل القبيح إنما هو ما يصيبه من مصايد الشيطان ووسوسته، أو ما يطلق عليه النفس الأمارة بالسوء..

طبيعة الغرائز وأهميتها:

تلعب الغريزة دورًا هامًا في حياة البشر؛ لكنها تتفاوت بدرجات مختلفة من شخص لآخر، ومن ثم فهناك شخص يعيش لشهواته، وهناك آخر يعيش لنزواته، وهناك ثالث في حالة متوسطة بينهما.

"فتفاوت الناس فيها لا ينكر فإنهم يتفاوتون بكثرة الإصابة وسرعة الإدراك ويكون سببه إما تفاوتًا في الغريزة وإما تفاوتًا في الممارسة، فأما الأول وهو الأصل أعني الغريزة فالتفاوت فيه لا سبيل إلى جحده فإنه مثل نور يشرق على النفس ويطلع صبحه ومبادئ إشراقه عند سن التمييز ثم لا يزال ينمو ويزداد نموًّا خفي التدريج إلى أن يتكامل بقرب الأربعين سنة ومثاله نور الصبح فإن أوائله تخفى خفاء يشق إدراكه ثم يتدرج إلى الزيادة إلى أن يكمل بطلوع قرص الشمس وتفاوت نور البصيرة كتفاوت نور البصر.

والفرق مدرك بين الأعمش وبين حاد البصر بل سنة الله عز وجل جارية في جميع خلقه بالتدريج في الإيجاد حتى إن غريزة الشهوة لا تظهر في الصبي عند البلوغ دفعة وبغتة بل تظهر شيئًا فشيئًا على التدريج وكذلك جميع القوى والصفات، ومن أنكر تفاوت الناس في هذه الغريزة فكأنه منخلع عن ربقة العقل".[1]

(1) إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ) (1 / 88) دار المعرفة - بيروت.

والممارسة في حد ذاتها تنمو في الإنسان شيئًا فشيئًا، كما يصيح نور الصباح في أنحاء المعمورة ويتسع ضوءُه شيئًا فشيئًا هكذا حال الغرائز الإنسانية ينمو شيئًا فشيئًا على أطوار مختلفة ومواقيت متنوعة. كما "أن الإفراط في الغريزة وعدم انضباط الشهوة يؤثر على الجسم والعقل معًا، يقول الطبيب إليكس كاربل: ومن المعروف أن الإفراط الجنسي، يعرقل النشاط العقلي، ويبدو أن العقل يحتاج إلى غدد جنسية حسنة النمو، وكبت مؤقت للشهوة الجنسية حتى يستطيع أن يبلغ منتهى قوته".[1]

الباعث الإلهي للغرائز والدوافع:

من المعروف أن الإنسان هو مخلوق الله تعالى الضعيف الذي جعل الله فيه من الغرائز والبواعث ما يحافظ على نوعه وقوامه، وعليه فلقد "اقتضت حكمة اللطيف الخبير أن تحثه هذه البواعث إلى ما فيه قوامه وبقاؤه ومصلحته وترد عليه بغير اختياره ولا استدعائه فجعل لكل واحد من هذه الأفعال محركًا من نفس الطبيعة يحركه، ثم انظر إلى ما يعطيه من القوى المختلفة التي بها قوامه، فأعطى القوة الجاذبة الطالبة المستحثة التي تقتضي معلومها من الغذاء فتأخذه ويورده على الأعضاء بحسب قبولها، ثم أعطى القوة الممسكة التي تمسك الطعام وتحبسه ريثما تنضجه الطبيعة وتحكم طبخه وتهيئه لمصارفه وتبعثه لمستحقه، ثم أعطى القوة الهاضمة التي تصرفه في البدن وتهضمه عن المعدة، ثم أعطى القوة الدافعة التي تدفع ثقله وما لا منفعة فيه فتدفعه وتخرجه عن البدن لئلا يؤذيه وينهكه. فمن أعطاك هذه القوة عند شدة حاجتك إليها

(1) التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية، د/ علي علي صبح، نشر المكتبة الأزهرية للتراث، ص247.

ومن جعلها خادمًا لك ومن أعطاها أفعالها واستعمل كل واحد منها على غير عمل الآخر ومن ألّف بينها على تباينها حتى اجتمعت في شخص واحد ومحل واحد ولو عادى بينها كان بعضها يُذهب بعضًا، فلولا القوة الجاذبة كيف كنت متحركًا لطلب الغذاء الذي به قوام البدن ولولا الممسكة كيف كان الطعام يذهب في الجوف حتى تهضمه المعدة ولولا الهاضمة كيف كان يطبخ حتى يخلص منه الصفو إلى سائر أجزاء البدن وأعماقه ولولا الدافعة كيف كان الثقل المؤذي القاتل لو انحبس يخرج أولًا فأول فيستريح البدن فيخف"[1] ومن هنا تظهر أهمية الغرائز والدوافع الإنسانية في حياة الفرد والمجتمع بأسره.

أنواع الدوافع:

يحدثنا علماء النفس عن أنواع الدوافع وقد قسموها إلى ثلاثة أقسام، الأول: دوافع غريزية، والثاني: دوافع مكتسبة، والثالث: دوافع غير شعورية. وهذا التقسيم عقلي، وذلك؛ لأن الدوافع الأساسية في الإنسان إنما الفطرية وليست المكتسبة إلا عارضًا لها.

علاقة الدوافع بالدين والأخلاق:

من المعروف أن الدين الإسلامي هو المصدر الأول للدوافع والغرائز الإنسانية، ومن ثم فهو المؤشر لها كما أن للدافع لها الدور الأسمى من حيث تزكية نفس صاحبها وعدم تزكيته، وبالتالي فإن الإسلام هو القائد لها، ومن هنا فإن الإسلام يفرق بين العواطف والميول، وقد فرق أحد

(1) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) نشر، دار الكتب العلمية – بيروت (1/ 276).

العلماء بين أنواع الدوافع فقال: بالنسبة للدوافع الغريزية، فإن مدرسة الغرائز وإن كانت قد اتفقت مع الإسلام في أنها فطرية وموروثة، إلا أنها لم تقل بأن الله غرزها في النفس الإنسانية، وإنما هي مغروزة في الإنسان بحكم الطبيعة، لكن الإسلام يقول إن الله قد أودعها في خلق النفس وفطرتها: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾.[1]

وبالنسبة للدوافع المكتسبة، فإن الإسلام يفرق بين العواطف والميول مثل الحب والكره والرضا والسخط.. إلخ، فكل هذه غرائز فطرية، خلقها الله في الإنسان.[2]

والغرائز الفطرية موجودة في الإنسان كغرائز (الحب والسكن للزوجة والمودة والرحمة...) وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3] كما أن هذه الغريزة موجودة في الإنسان وذلك عند حبه لمتع الدنيا الفانية التي ذكرها الله في قوله: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[4]

وأما الدوافع الشعورية فإنها من خلق الله تعالى لكن لم يطلق للإنسان العنان في ممارستها، بل قيد له قيودًا لا يمكن أن يتعداها فهو

(1) سورة الشمس الآيات: 7-10.

(2) مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها، على أحمد مدكور، الناشر: دار الفكر العربي، الطبعة: 1421هـ - 2001م، ص90.

(3) سورة الروم آية: 21.

(4) سورة آل عمران آية: 14.

سبحانه قد "نظم له أسلوب ممارستها بشكل يحفظ للإنسان قواه ونشاطه بما يضمن له الاستقرار النفسي، ويضمن للآخرين عدم التصادم مع الدوافع الفردية، وهذا ما عنت به التربية الإسلامية من تنظيم لهذه الدوافع الشهوية، من خلال المنهج الإسلامي الذي احتوى ما يكفل للفرد إشباع شهواته وفق معايير أخلاقية واجتماعية تكفل للجماعة حقوقها دونما تعارض بينهما، وهذا ما افتقرت إليه التربيات الأخرى".[1]

الإسلام يمدح الحياة ويهتم بها:

مما لا شك فيه أن الإسلام يمدح الحياة ويهتم بها اهتمامًا بالغًا لاسيما وهي تعد قنطرة للآخرة التي فيها مأوى الإنسان ومستقر حياته، وقد أولى الإسلام هذه الحياة عناية فائقة على النحو التالي:

أولًا: تنظيمها تنظيمًا اجتماعيًّا واقتصاديًّا وسياسيًّا وقضائيًّا.

ثانيًا: دعوة الناس إلى أخذ نصيبهم منها، من مأكل ومشرب وزواج وملبس ومسكن، وكل ما يحتاج إليه الإنسان بحكم الغريزة والطبع، قال تعالى: ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾[2]، كما وبخ الذين يمنعون الناس من هذه المتعة التي أخرجها لعباده: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنْ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.[3]

(1) السبق التربوي: مفهومه ومنهجه ومعالمه في ضوء النهج الإسلامي، خالد بن حامد الحازمي. الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة السادسة والثلاثون - العدد (123) 1424هـ/2004م.

(2) سورة المائدة من الآية: 88.

(3) سورة الأعراف آية: 32.

ثالثًا: الذي أمر به الإسلام لكمال الصحة هو الاعتدال في الحياة والتصرف فيها طبقًا للحكمة سواء كان في ميدان إشباع الدوافع والمطالب الأساسية أم في ميدان العمل أيًّا كان نوع هذا العمل وشكله.[1]

ومن هنا فالإسلام يأمر أتباعه بالاعتدال في المأكل والمشرب والملبس وجميع المتع الدنيوية التي وهبها الله تعالى لخلقه، كما وبخ الله تعالى أولئك الذين يعيشون في الترف والمتع الدنيوية بلا اعتدال وتوسط. جاء هذا التوبيخ واضحًا للمفسدين والمتكبرين في الأرض وعلى رأسهم قارون حيث قال القرآن الكريم: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[2] أي اطلب الآخرة فيما آتاك الله من الثروة والغنى؛ بأن تتصدق، وتصل الرحم؛ ولا تنس أن تُبقي لنفسك شيئًا يقيك العوز، ويمنعك من إراقة ماء وجهك.[3]

الإنسان بين الحقيقة والغاية:

يتكون الإنسان من شقّين لا ثالث لهما وهما: الروح، والجسد، وللروح مطالبها، وللجسد مطالبه، ولا يطغى أحدهما على الآخر "وهذا الإنسان عالم صغير، لأن كل ما في العالم الكبير متجسد ومتواجد ومتجمع في الكيان الإنساني فلو أمعنّا النظر لوجدنا العالم يشتمل على النار والتراب

(1)علم الأخلاق الإسلامية، مقداد يالجن محمد علي، نشر، دار عالم الكتب للطباعة والنشر – الرياض، الطبعة: الأولى 1413هـ-1992م الطبعة الثانية 1424هـ-2003م، ص79.

(2) سورة القصص آية: 77.

(3)أوضح التفاسير، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (المتوفى: 1402هـ)، المطبعة المصرية ومكتبتها، الطبعة: السادسة، رمضان 1383هـ-فبراير 1964م (475/1).

والماء والهواء، والمعادن المتجددة والنباتات بأنواعها المختلفة، والحيوانات والشياطين والملائكة، وفي كل جزئية من جزئياته يخضع للتغير المستمر ويشمل النظام والإتقان وتهتف الجزئيات بعظمة المدبر والمعتني، فإذا وضعنا الإنسان في مقابلة هذه الجزئيات وجدناه يضمها كلها في كيانه الفردي ففيه الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة أي النار والهواء والماء والتراب، وفيه التعدد المعدني مثل الكالسيوم والحديد والبوتاسيوم... إلخ، وفيه من النباتات النمو والتغذي والبداية والنهاية والتغير، ومن الحيوانات التوالد والإحساس بالألم أو اللذة والاندفاع والتهور والنفور والكراهية والحب والفناء".[1]

ومن هنا فالعالم الأكبر يتمثل دائمًا وأبدًا في العالم الأصغر الذي هو (الإنسان)، ذلكم المخلوق الضعيف الذي يغضب ويفرح ويتألم ويحزن ويعطي ويمنع، ويحب الخير ويحزن للمفقود ويفرح بالموجود بإحساسات ركبها الله فيه تسمى المدركات الباطنة والظاهرة، وبناء على ذلك فإن الغاية من كل منهما أي العالم الأكبر والعالم الأصغر واحدة؛ وهي طاعة الله جل وعلا.

"ولقد جمع الله تعالى في الإنسان قوى بسائط العالم ومركباته وروحانياته وجسمانياته ومبدعاته ومكوّناته. فالإنسان من حيث أنه بوساطة العالم حصل ومن أركانه وقواه أوجد هو العالم. ومن حيث أنه صغُر شكله وجمع فيه قواه كالمختصر من العالم فإن المختصر من الكتاب هو الذي قُلّل لفظه، واستوفي معناه. والإنسان هكذا هو إذا اعتبر بالعالم. ومن حيث أنه جعل من صفوة العالم ولبابه وخلاصته وثمرته، فهو كالزُبْد

(1) دراسة في التصوف الإسلامي، د/ محمد الأنور، ط1، 1410ه، 1989م، شركة الصفا للطباعة والترجمة والنشر، عبد الخالق ثروت القاهرة، ص5.

من المخيض والدهن من السمسم، فما من شيءٍ إلا والإنسان يشبهه من وجه، فإنه كالأركان من حيث ما فيه من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، وكالمعادن من حيث ما هو جسم، وكالنبات من حيث ما يتغذى ويتربى، وكالبهيمة من حيث ما يحس ويتوهم ويتخيل ويلتذ ويتألم، وكالسبع من حيث ما يحرض ويغضب، وكالشيطان من حيث ما يغوي ويضل، وكالملائكة من حيث ما يعرف الله تعالى ويعبده".[1]

بل قد مدَّ الله الإنسان بكثير من النعم التي لا تعد ولا تحصى، وأمره أن يستخدمها في طاعته ولا يشذ عنها قدر أنملة وعليه فقد خلقه الله "مزودًا بآلات حسية ظاهرة للعيان، أو خفية في داخل جسمه، لتقوم تلك الآلات بما هيّأها الله ﷻ من عمل: أسنان تطحن ولسان يخلط ويتذوق وينظف، وجلد يحس ويتألم، ويد تبطش وتأخذ، ورجل تمشي وتسير، وأذن تسمع، وعين تبصر، وأنف تشم وتستنشق الهواء النافع للجسم من الخارج ويعبر منها الهواء الفاسد من الداخل، وحلق يدخل منه الطعام والماء والهواء، ومعدة تهضم الطعام، وقلب يضخ الدماء وينقيها، وهكذا: الرئة، والكلى، والجهاز الإخراجي والجهاز الدوري وغيرها، كل هذه الآلات وأجزائها تقوم بعمل قد هيّأها الله له، فإذا فقد أيًّا منها تعطل عملها الذي هُيّئت له".[2]

ومن هنا فقد تكفل الله تعالى بالإنسان وأعلى من قدره وميزه ورفع من شأنه على سائر الموجودات على الإطلاق، وهذا إن دلَّ فإنما يدل على

(1) تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: 502هـ) دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان، عام النشر: 1983م، ص27، 28.

(2) السباق إلى العقول، الدكتور عبد الله قادري الأهدل، الناشر: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، ص28.

معية الله تعالى المحوطة بالإنسان من كل جانب لاسيما في العطاء الرباني الذي يحوط الخليقة من كل جانب.

ومما يميز الإنسان عن غيره الدوافع والغرائز المغروسة في العالم الأصغر - أعني الإنسان - هذه الغرائز قد يستخدمها البعض في التلذذ والانغماس في الشهوات والملذات ليل نهار دون أن يراعي في الله تعالى **إِلًّا وَلَا ذِمَّةً**، ومنهم من يستخدمها في إطارها الشرعي والوسط المعتدل الذي هو الهدف من بعثة الأنبياء والرسل عليهم رضوان الله أجمعين.

المبحث الثاني

مميزات الغرائز وصورها في الفكر الإنساني

مما لا مجال فيه للشك أن الغرائز الإنسانية تتنوع في الفكر الإنساني إلى عدة أنواع:

مميزات الغرائز الإنسانية:

هناك مميزات للغريزة ذكرها الدكتور/ أحمد فؤاد الأهواني في كتابه خلاصة علم النفس فقال: "تمتاز الغريزة بالمميزات الآتية:

1) الغريزة نوعية:

ومعنى ذلك أنها واحدة بالنسبة لجميع أفراد النوع من جنس واحد فلكل نوع غرائزه التي تميزه عن غيره، مثال ذلك البيوت التي تنسجها العناكب فكل نوع منها ينسج بيتًا بشكل مخصوص، مثل التي تنسج البيوت في زوايا الحيطان، هذه الوحدة في النوع ليست مطلقة، إذ أن هناك فوراق شخصية؛ لأن الأفراد لا يتشابهون إلى حد التطابق ولكن هناك صفات أساسية ثابتة، هي التي تسمح لعالم الحيوان أن يميز الأنواع المختلفة منه".[1]

2) الغرائز بأنها موروثة:

وهذه من أهم الصفات التي تميزها وإذا نفينا هذه الصفة عنها، فإننا ننفي بذلك وجود الغريزة نفسها، وهناك بعض الفلاسفة قالوا بذلك فإن

(1) خلاصة علم النفس، أحمد فؤاد الأهواني، مطبعة الشباب الحديثة، الطبعة الثالثة، ص52.

(بسكال) يقول إن الطبيعة عادة أولى "ولكن الواقع ينكر ذلك، إذ يكفي أن تنظر إلى الإنسان أو ضروب الحياة، لتحكم بما يخالف ذلك القول فالطفل حديث الولادة ليس في حاجة إلى التفكير ليصيح أو يرضع فهو يصيح كلما أحس بألم وهو يمص كل جسم غريب يلامس شفتيه... فالغريزة تخلق كاملة لا يحتاج الكائن إلى التعلم والكسب والتدريب لتأدية العمل".[1]

3) الغريزة عمياء:

"تتميز الأعمال الإرادية عند الإنسان، بأن هناك غرضًا يستدعي الشعور به اتباع طريق يوصل إليه فالغرض هو الذي يملي على الإنسان اختيار الطريق يشعر المريض بالمرض فيمتنع عن تناول الطعام حتى لا يزداد به المرض وإذا أراد شخص أن يقضي الليلة في التسلية فإن هذا الغرض هو الذي يملي عليه الذهاب إلى دار الخيالة".[2]

ومن هنا فالغريزة التي فطرها الله تعالى في الإنسان وهي واحدة لا تتجزأ ولكن لكل إنسان غريزته الخاصة به، وهي أيضًا تتصف بالوراثة وهذه من أهم الصفات التي تميزها عن غيرها، وعليه نقول إنها لا تحتاج إلى كسب ولا نظر ولا استدلال إنما هي موجودة في الكائن الحي عن طريق الوراثة فإذا انتفت الوراثة انتفى الكائن الحي كلية.

أهمية الوراثة في حياة الإنسان:

تلعب الوراثة دورًا هامًا في تربية وتنمية مواهب الأطفال منذ الصغر حتى ينشأ الطفل تنشئة حسنة بعيدة عن الرذائل التي نهى عنها الدين الحنيف "فإذا عاش الطفل في أسرة تفيض بالحب والرحمة، وفي مجتمع يلفه بالشفقة والعطف والحنان، ينشأ متأدبًا بآداب الرحمة، متذوقًا لأساليب

(1) المصدر السابق، ص53.

(2) المصدر السابق، ص56.

الحب والجمال والخير والحق، فيشب الطفل عاشقًا للرحمة والمحبة، متخذًا صورها الجميلة في قوله ومنهجه وسلوكه؛ لأن أدب الإسلام في جميع صوره حثّ عليها منذ الصغر على أنها عبادة وطاعة ومنهج وسلوك؛ فقد صور القرآن الكريم الرحمة بما يعجز عنه البشر؛ فلم تخل سورة من تصوير قرآني لها تهتز له العاطفة، وتبعث فيها الحرارة والصدق والدفء، وتغمر الوجدان فتحييه بالإيمان والإخلاص، والحب والمودة".[1]

ومن هنا فإن الطفل الذي ينشأ في بيئة متدينة فإن هذا بلا شك ينعكس على حياة الطفل منذ نشأته، والعكس صحيح، وتلعب الأسرة المسلمة دورًا بارزًا في تربية الغرائز والدوافع الإنسانية على أساس من الدين القويم وكيف لا؟ وهو الذي يمدنا بالتوجيه السليم وهو الذي "يضع الضوابط الاجتماعية التي تكفل الأمن والسلام للناس. ويعمل بروحانيته على التأثير في نفوس البشر، فيهذبهم ويوجههم وجهة الخير ويسمو بوجدانهم. ويرتقي بميولهم، ويعلي غرائزهم، ويعدل طباعهم فيجعلها متفقة ومنهج الخير العام الذي يحقق مصلحة الناس وسعادتهم. والدين وحده هو الذي يؤلف بين القلوب، ويدعم الوحدة بين النفوس ويخلق من المجتمع قوة متماسكة، يخشى بأسها ويرهب جانبها؛ لأن هذه الرابطة الدينية إنما تستمد قوتها من امتزاج الأرواح والإخلاص لله وتطهير القلوب. وهي التي تجعل التعاون في سبيل غاية سامية، يهيم بها الوجدان، وتهفو إليها الأفئدة لا تشوبها الأكدار المادية، والأطماع الدنيوية، ولا تزلزلها الأحداث والمحن."[2]

---

(1) التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية، د/ علي علي صبح، المكتبة الأزهرية للتراث، ص185.

(2) طرق تدريس التربية الإسلامية نماذج لإعداد دروسها، دكتور/ عبد الرشيد عبد العزيز سالم. وكالة المطبوعات، الطبعة: الثالثة 1402هـ-1982م، ص48.

أثر الوراثة والبيئة:

مما لا شك فيه أن الوراثة والبيئة لهما الأثر الفعال على حياة الإنسان وذلك منذ ولادته إلى أن يبلغ سن البلوغ وعليه "فهناك وجهتا نظر تتعلقان بالكلام عن الوراثة أو البيئة إحداهما يمثلها فرانسيس جالتون وعبرّ عنها في كتابه (العبقري بالوراثة) وهو يعتقد أن القدرات الطبيعية للإنسان موروثة وأنه يمكن إنتاج سلالة من البشر على درجة عالية من الموهبة عن طريق الزواج المضبوط خلال أجيال متعاقبة. ووجهة النظر هذه قديمة ولم توضع موضع الاختيار. وخضعت فيما بعد لكثير من الهجوم والنقد لاسيما من جانب المربين علماء النفس الأمريكيين.[1] وهذه الوجهة ليس لها درجة من القبول وذلك لأنها تقوم على البيئة وحدها وذلك لأنها تستند على البيئة وحدها دون الوراثة.

ووجهة النظر الثانية يمثلها عالم النفس الأمريكي المعروف (واطسون) الذي يؤكد أثر البيئة والتربية. وفي ذلك يقول: "أعطني دستة أطفال أصحاء وأعطني عالمي الخاص لتربيتهم وأنا أضمن لك أن أحول كل فرد منهم إلى أي نوع من الرجال تشاء: فنان أو عالم أو جندي أو بحار أو شحاذ أو حرامي. وقد يكون واطسون قادرًا على عمل ذلك إلا أن معظم الآباء والمدارس قد لا يحالفهم الحظ.[2]

أثر الوراثة والبيئة على الإنسان:

من المعروف أن الوراثة والبيئة يؤثران على الإنسان تأثيرًا بليغًا لاسيما وأنّ الإنسان يولد على الفطرة، والذي يغيره من فطرته السليمة

---

(1) التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، محمد منير مرسي، عالم الكتب، الطبعة: طبعة مزيدة ومنقحة 1425هـ/ 2005م، ص173.

(2) التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، محمد منير مرسي، ص173.

هما الأبوان كما جاء في الحديث: ((**ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه أو يُنَصِّرانه، أو يمُجِّسانه**))[1]. ومن هنا فالوراثة لها الأثر الفعال في التأثير على الإنسان، وإذا كان للوراثة الأثر الكبير في التأثير على الإنسان فإن البيئة لها الأثر الفعال على حياته وتنشئته، كما جاء في الحديث "فعنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَخَضْرَاءَ الدِّمَنِ»، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا خَضْرَاءُ الدِّمَنِ؟ قَالَ: «الْمَرْأَةُ الْحَسْنَاءُ فِي الْمَنْبَتِ السُّوءِ»[2].

وقد أثبت العلماء أن الصفات الخِلْقِيةَ والخُلُقِيةَ تنتقل عن طريق الوراثة كما تنتقل الصفات المادية، وإلى هذا أشار القرآن الكريم في استنكار المستنكرين لمريم عليها السلام حيث قالوا: ﴿**يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا**﴾. [3]

وقد رأى بعض علماء النفس والتربية أن الإصابة بمرض الزهري أو وجود أي نوع من العيوب الوراثية العقلية بعين الزوجين يؤدي إلى إنجاب أطفال يحملون المرض نفسه، كما أن الأطفال الذين يولدون لأبوين يدمنان السكر والمخدرات بأنواعها خاصة في ساعات التلقيح كثيرًا ما يصابون بأمراض عقلية وعصبية قلّ أن يشفوا منها؛ لأن الأبوين لا يورثان الصفات الجسمية فقط بل الصفات النفسية، ولذلك يرى بعض العلماء أن الرجال المتفائلين ينجبون أولادًا متحررين من العادات القبيحة

(1) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يُصلَّى عليه؟ وهل يُعرض على الصبي الإسلام؟ برقم 1358، ومسلم في كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطر، وحكم أطفال الكفار وأطفال المسلمين، برقم 2658.

(2) رواه القضاعي في "مسند الشهاب" 2/ 96 (957) من حديث أبي سعيد الخدري.

(3) سورة مريم آية: 28.

والخوف والأوهام، أما الحمقى والموهومون والسكارى فينجبون أولادًا عصبيي المزاج مصابين بمركب نقص، يعانون من العقد والإحساس بالضعف".[1]

ومن هنا فإن ما يصاب به الإنسان بعد الولادة أو حينها فإن هذا من باب التأثير من جهة الأبوين ومن الجدير بالذكر أن الإصابة من جهة الأبوين بالأمراض تشمل الأمراض المعنوية والجسمية معًا.

تفاوت الناس في الوراثة:

من المعروف أن هناك تفاوتًا كبيرًا في الطبائع الخلقية والخلقية على حد سواء، وقد جمع الراغب الأصفهاني في كتابه **تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين** هذا التفاوت في نقاط سبع وهي:

الأولى: اختلاف الأمزجة وتفاوت الطينة واختلاف الخلقة، كما أشير فيما روي أن الله تعالى لما أراد خلق آدم عليه السلام ((فَخَرَجَت ذُرِّيته على نحوِ ذَلِكَ، فيهم الأبيضُ والأسودُ والأحمَرُ، والسَّهلُ والحَزَنُ، والطَّيِّبُ والخَبِيثُ))[2]، وإلى نحو هذا أشار الله تعالى بقوله: ﴿**وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا**﴾[3]، وقال تعالى: (**هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ**﴾.[4]

الثاني: اختلاف أحوال الوالدين في الصلاح والفساد، وذلك أن الإنسان قد يرث من أبويه آثار ما هما عليه من جميل السيرة والخلق

(1)التربية الإسلامية ومراحل النمو، عباس محجوب، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة 13 / العدد 52 - 1401هـ، ص114.

(2) سورة مريم آية: 28.

(3) سورة الأعراف من الآية: 58.

(4) سورة آل عمران من الآية: 6.

وقبيحهما، كما يرث مشابهتَهُما في خلقهما، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾[1]..."تنبيهًا على أن الخير والشر الذي يكسبه الإنسان ويتخلق به يبقى أثره موروثًا إلى البطن السابع".[2]

الثالث: اختلاف ما تتكوَّن منه النطفة التي يكون منها الولد، ودم الطمث الذي يتربى به الولد، فذلك له تأثيرٌ بحسب طيب ما تكون منه وخبثه، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: ((تخيروا لنطفكم)) وقال: ((إياكم وخضراء الدّمن، قيل وما خضراءُ الدمن قال: "المرأة الحسناءُ في المنبت السوء")).[3]

الرابع: اختلاف ما يتفقد به من الرضاع ومن طيب المطعم الذي يتربى به، ولتأثير الرضاع يقول العرب لمن تصفه بالفضل.

الخامس: اختلاف أحوالهم في تأديبهم وتلقينهم وتطبيعهم وتعويدهم العادات الحسنة والقبيحة، فحق الولد على الوالدين أن يؤخذ بالآداب الشرعية وأخطار الحق بباله وتعويده فعل الخير، ويجب أن يصان عن مجالسة الأرذياء، فإنه في حال صباه كالشمع يتشكل بكل شكل يُشكل به، وأن يحسن في عينه المدح والكرامة ويقبح عنده الذم والمهانة، ويبغض إليه الحرص على المآكل والمشارب.

السادس: اختلاف من يتخصص به ويخالطه، فيأخذ طريقته فيما يتمذهب به.

---

(1) سورة الكهف من الآية: 82.

(2) تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: 502هـ) دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان، عام النشر: 1983 م، ص55.

(3) سبق تخريجه.

السابع: اختلاف اجتهاده في تزكية نفسه بالعلم والعمل حين استقلاله بنفسه.

والفاضل التام الفضيلة من اجتمعت له هذه الأسباب المسعدة. وهو أن يكون طيب الطينة معتدل الأمزجة جاريًا في أصلاب آباءٍ صالحين ذوي أمانة واستقامة، متكونًا من نطفة طيبة ومن دم طمث طيب على مقتضى الشرع، ومرتضعًا بدَرٍ طيب ومأخوذًا في صغره من قبل مربيه بالآداب الصالحة وبالصيانة عن مصاحبة الأشرار، ومتخصصًا بعد بلوغه بمذهب حق ومجهدًا نفسه في تعرف الحق مسارعًا إلى الخير. فمن وُفق في هذه الأشياء تنجع فيه الخيرات من جميع الجهات.[1]

ومن خلال ما ذكره الراغب الأصفهاني يتبين لي أن اختلاف الأمزجة واختلاف الوالدين، واختلاف ما تتكون منه النطفة واختلاف الرضاعة وغير ذلك لمن أعظم الأدلة على تفاوت الوراثة والدوافع في الإنسان، وهذه الأسباب إذا اجتمعت في الإنسان أصبح طيب المزاج بطيء الغضب والانفعال.

صور الغرائز الإنسانية في علم النفس:

هناك صور للغرائز الإنسانية ذكرها لنا الدكتور/ أحمد فؤاد الأهواني في كتابه خلاصة علم النفس:

1) الغريزة الخالصة المصحوبة بحركات تظهر كاملة دون حاجة إلى كسب، وهذه الصورة نجدها بالأخص عند الحيوانات الدنيئة[2] ومعنى ذلك أن هذه الغرائز التي لا تحتاج إلى تعلم متمثلة في النوع الأقل خبرة

(1) تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، للراغب الأصفهاني، ص56.

(2) خلاصة علم النفس، أحمد فؤاد الأهواني، ص55.

وذلك مثل الانفعال الذي يحدث بين الحيوانات بعضهم مع بعض دون هدف واضح.

2) الدوافع الغريزية التي هي أساس السلوك وهي التي يبني عليها الأفراد المسالك المختلفة، ولكن الأساس واحد".[1]

أنواع الغرائز البشرية:

من المعلوم لدى الدارسين أن للغرائز البشرية أنواع مختلفة كل منها له مطالبه ودوافعه التي تكون سببًا في بقاء الكائن الحي على العموم، فهي مشتركة بين جميع الأنواع لا يمكن أن يستغني عنها بأي حال من الأحوال وهي كالتالي:

1. غريزة الطعام والشراب.
2. غريزة حب المال.
3. غريزة الجسد.
4. غريزة العاطفة.

(1) خلاصة علم النفس / الأهواني، ص55.

المبحث الثالث

الغرائز الإنسانية لدى بعض الماديين والجدليين

مما لا مجال فيه للشك أن الغرائز البشرية لها أنواع مختلفة لا يستغني عنها الإنسان، ولكن قد استخدمها الماديون والجدليون بطريقة مختلفة الغرض منها إشباع رغبتهم وشهواتهم دون قيود تردعهم عن فعلهم الشنيع، فالغرض من الحياة عندهم أن يعيشوا في ترف من العيش الباهظ. والتمتع باللذات الدنيوية المتمثلة في المأكل والمشرب... إلخ.

المقصود بالماديين والجدليين:

من المعلوم أن الماديين والجدليين من أخطر التيارات الفكرية الحديثة على الساحة وذلك لمحاربتها المنهج الإلهي القويم الذي يدعو إلى الفضيلة والبعد التام عن الرذيلة والتعرف على الله خالق الكون وهذا هو الغرض من بعثة الأنبياء والرسل عليهم السلام، وإذا أردنا أن نوضخ مفهوم الماديين والجدليين فنقول: جاء في المعجم الفلسفي للدكتور جميل صليبا أن: المذهب المادي تيار عريض في الفكر الغربي، وعادة ما يقسم الفكر الغربي إلى قسمين: مثالي عقلاني وآخر مادي، والاتجاه المادي".[1]

بينما يرى البعض أن الماديين "مذهب يرى بأن المادة هي الحقيقة المطلقة، أزلية أبدية، أزلية لم يخلقها أحد، ولا توجد في هذا العالم آية

(1) المعجم الفلسفي، جميل صليبا، (2/ 309).

قوى غيبية لا تخضع لقوانين الطبيعة"[1]، وهي الفاعلة وحدها لا تفتقر لسواها، ويفسر أصحاب المذهب المادي كل شيء بأسباب مادية. وهي مذهب قديم، وأقدم ما حفظ منه هو ما جاء عن بعض فلاسفة اليونان مثل ((ديمقريطس)) و((إبيقور)) وغيرهما، تنتشر في فترات من التاريخ وتضعف في أخرى، إلا أنه من المؤكد بأن المذاهب المادية قد ضعف شأنها في أوروبا بعد نجاح الفلسفات العقلية المثالية أو اعتناقها فيما بعد للنصرانية. غالبًا ما يميز أصحابها المعاصرون بين مراحل تاريخيه لها".[2]

الآثار السلبية للإيمان بالماديات:

من يتأمل يجد أن الإيمان بالماديات وحدها يقضي على مقومات الأخلاق الإنسانية والاجتماعية؛ بل على حقيقة الإيمان الديني؛ لأن جزءًا كبيرًا من الدين قائم على ما وراء المادة والغيبيات. إنه الإيمان بالغيب، ومنه الإيمان باليوم الآخر.

ومن المعروف أن الماديين لا يحترمون القيم الإنسانية بل إن هدفهم هو المادة ويقدّمونها على سائر الأشياء وبناء على ذلك "فهم جاهدون وجادُّون - في محو كل القيم الإنسانية، أو أي شيء يؤدي إلى احترام إنسانية الإنسان، معلوم أنهم يعرفون تلك الحقيقة، ولكنهم يتحاشون

---

(1) أسس الفلسفة الماركسية، ق. افاناسييف ص 9، ترجمة عبد الرزاق الصافي، وقد ذكر لي أ. د. محمود مزروعة أثناء المناقشة اختلاف الماديين في تعريف المادة، وقد وصلت التعريفات إلى ثلاثة وعشرين تعريفًا، مع أن العلم الحديث لم يعرف من خصائصها سوى 7%.

(2) النظرية المادية في المعرفة، روجيه غارودي، ص68، ترجمة محمد عيتاني. وانظر: تمهيد للفلسفة، د. محمود زقزوق، ص173.

البوح بها لئلَّا يؤدي ذلك إلى احترام القيم والمثل والتهذيب الديني للإنسان بجعل كل الفضائل للمادة خير من جعلها للإنسان في ميزان الملاحدة؛ إذ المادة لا خطر من ورائها، ولا يؤدي احترامها إلى فرض القيم الدينية التي يخافونها".[1]

الغريزة عند بعض الماديين المحدثين:

يرى بعض الغربيين أن الغريزة تتمثل في اللذة والألم وذلك لأن النفس الإنسانية تعتمد اعتمادًا كليًّا على الحواس الخمس أو المدركات الحسية سواء الباطنة، أم الحواس الظاهرة.

أنصار المادية الحديثة:

1) الفيلسوف (**توماس هوبس**) 1588-1679[2]:

من المسلم به أن الحواس الخمس تشتمل على الغرائز والدوافع الإنسانية، التي بها مواطن القوة والضعف أو معاول الهدم الذي يتمثل في استخدامها أو توظيفها في الجانب المادي دون الجانب الروحي، أو

(1) المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، المؤلف: د. غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية-جدة، الطبعة: الأولى 1427هـ-2006م (2/ 1092).

(2) هو: أول الماديين المحدثين، وأكبر أنصار الحكم المطلق قبيل تقويضه. دخل جامعة أكسفورد في الخامسة عشرة ومكث بها خمس سنين يتلقى المنطق المدرسي والطبيعيات دون كبير اهتمام. ثم جعل يطالع الآداب القديمة، وخاصة المؤرخين والشعراء. وعمل في خدمة بيكون كاتبًا لسره ومعاونًا له في نقل مؤلفاته إلى اللاتينية. وفي سنة 1629 نشر ترجمة لتاريخ توكيديد "حيث تبدو الديمقراطية سخيفة أشد السخف" على حد قوله، فإلى سن الأربعين لم يكن كتب شيئًا في الفلسفة. يراجع: تاريخ الفلسفة الحديثة، المؤلف: يوسف بطرس كرم (المتوفى: 1959م) مكتبة الدراسات الفلسفية، الطبعة: الخامسة، ص54

معاول البناء الذي يتمثل في توظيفها في الجانب الروحي أو توطينها في الجانب الوسط الذي لا إفراط فيه أو تفريط. والفيلسوف توماس هوبز من أبرز الذين استخدموا الجانب المادي في بناء الغرائز **ولقد ذكر (توماس هوبز)** المعاني وقسمها إلى معاني محسوسة بالحواس الظاهرة كـ(السمع والبصر والشم والذوق واللمس) المعروفة عند المفكرين فقال: "المعاني المحسوسة بالحواس الظاهرة، مثل قولنا: بارد صلب أملس خشن مر امتداد شكل حركة؛ والطائفة الثانية المعاني المدركة باطنًا، وهي التي ترجع إلى الذاكرة والانتباه والإرادة؛ والطائفة الثالثة المعاني المحسوسة والمعاني المدركة باطنًا معًا، مثل معاني الوجود والوحدة والدوام والعدد واللذة والألم والقدرة "م2 ف7".[1] ومن خلال هذا النص يتبين أن الألم واللذة من الأمور الباطنة التي لها الأثر الفعال في بناء الغريزة على رأي توماس هوبز. ثم بعد ذلك يقسم توماس هوبز المعاني إلى معنوية، ويتناول اللذة والألم في مصاحبة هذه المعاني (الظاهرة والباطنة) وبالتالي فهما "يصاحبان جميع معانينا الظاهرة والباطنة تقريبًا؛ والوجود والوحدة معنيان يمكن أن يثيرهما فينا كل إحساس خارجي وكل فكرة نفسية؛ والدوام معنى ينشأ من ملاحظة الزمن الذي يقضي بين معانينا في تعاقبها؛ وينشأ معنى العدد من تكرار الوحدة؛ ونشعر بالقدرة حين نفعل، وما الفعل الحر إلا الفعل نفسه، فإذا لم نقدر على الفعل لم نكن أحرارًا، إذ لا معنى للاعتقاد بالقدرة دون الفعل، وما اعتقادنا بالحرية إلا اعتقاد بإمكان تكرار فعل سابق لمجرد كون هذا الفعل قد سبق. وهكذا تفسر جميع المعاني التي من هذا القبيل، فإن النفس في إدراكها منفعلة تسجل الواقع".[2] والقسم الثالث

(1) المصدر السابق، ص146.

(2) المصدر السابق، ص146.

من أقسام المعاني عند الفيلسوف (توماس هوبز) هو "المعاني المركبة فالنفس فيها فاعلة؛ إذ إنها هي التي تصنعها. وهذه المعاني طائفتان: طائفة تؤلف فيها النفس المعاني البسيطة في معنى شيء واحد، مثل معنى الذهب أو معنى الإنسان، وطائفة تؤلف فيها النفس المعاني البسيطة بحيث تمثل مع ذلك أشياء متمايزة".[1]

2) الفيلسوف (**إيمانويل كانط**)[2] **1724م- 1804م:**

يرى (**كانط**) أن الغرائز الإنسانية المتمثلة في اللذة والمنفعة يجب ردهما إلى مذهب السعادة "وهذا المذهب يرد الخير إلى اللذة والمنفعة، فيمحو كل تمييز نوعي بين بواعث الفضيلة وبواعث الرذيلة. أما مذهب العاطفة الأخلاقية فهو أرفع من غير شك؛ لأنه يعترف بالفضيلة أولًا وبالذات، ولكنه من نوع المذهب السابق، إذ إنه يعرض على الإرادة منفعة حسية هي الرضا النفسي. وإنما لجأ أنصاره إلى العاطفة ليأسهم من العقل، ولم يقدروا أن العاطفة متغيرة نسبية لا تصلح مقياسًا للخير والشر.[3] ومن هنا فهذا الفيلسوف يرى أن سعادة المرء تكمن في اللذة والمنفعة، بينما مذهب العاطفة أرفع المذاهب على الإطلاق وذلك لأنه يتعلق في مسألة الرضا النفسي.

---

(1) المصدر السابق، ص146.

(2) ولد كانط بكونجسبرج من أبوين فقيرين على جانب عظيم من التقوى والفضيلة، ينتميان إلى شيعة بروتستانتية تدعى الشيعة التقوية تستمسك بالعقيدة اللوثرية الأساسية القائلة: إن الإيمان يبرر المؤمن، وترى أن محل الدين الإرادة لا العقل، وتعلي من شأن القلب والحياة الباطنة" يراجع: المصدر السابق، ص247.

(3) المصدر السابق، ص247.

3) الفيلسوف (شوبنهاور)[1] 1788م-1860م:

يرى (شوبنهاور) أن الحياة كلها شرور ولا مجال للسعادة فيها، وبهذا يطلق على هذا الفيلسوف فيلسوف التشاؤم ومن ثم فإن الحياة شر "تشهد بذلك التجربة، ويشهد به النظر في ماهية الألم واللذة. والألم انفعال إيجابي، هو ترجمة عن حاجة مفيدة للحياة. واللذة إرضاء هذه الحاجة وتلطيف مؤقت، فهي انفعال سلبي، وإن بدت حالة إيجابية فتلك وسيلة من وسائل خداع الإرادة الكلية؛ لذا كانت انفعالات الألم أقوى في الغالب، نلحظها ولا نلحظ عدم الألم: لا نلحظ الصحة والشباب والسلامة والحرية حتى تفوتنا. واعتياد اللذة يفل من حدتها، وانقطاع الشيء المعتاد يخلق آلامًا جديدة. وكلما زكى العقل ودق الشعور اشتدَّ الإحساس بالألم: ألم الإنسان أكثر وأشد من ألم الحيوان؛ ويتفاوت الناس في عدد آلامهم وقوة شعورهم بها. كل هذا يدل على أن مبدأ السبب الكافي المنظم للتصور لا يصدق على الإرادة الكلية التي هي شيء بالذات".[2] وبناء على ذلك فإن هذا الفيلسوف يرى أن غريزة الألم هي الشغل الشاغل لحياة الإنسان ومن ثم فإن "زعمه الباطل في حرية الإرادة، وبالتالي ما يترتب عليها من وحدة الوجود في العالم، وأن العالم رديء، وأن القانون الموجود في العالم هو الألم لا اللذة."[3]

(1) فيلسوف التشاؤم وباعث البوذية في الفلسفة الحديثة. أقام مذهبًا على غرار المذاهب الثلاثة السابقة، إلا أنه تصور المبدأ الأول "إرادة كلية" هي قوة عمياء تكون الموجودات على التوالي. ولنا أن نقول: إن مزاجه مال به إلى هذا التصور، فقد عرفت حالات مرض عقلي عن أسرة أبيه وأسرة أمه، يراجع: تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، ص291.

(2) المصدر السابق، ص291.

(3) مشكلة التشاؤم في فكر الفيلسوف شوبنهاور عرض ونقد، تأليف الدكتور/ محمد بيومي البربري، بحث منشور في قطاع أصول الدين بالقاهرة جامعة الأزهر سنة النشر 2024م، ص17.

4) الفيلسوف (**إرميا بنتام**) **1748م-1832م:**

من الفلاسفة الذين تناولوا اللذة والألم (إرميا بنتام) الذي يجعل اللذة هي الهدف من حياتهم، ومن ثم فليس لهم هم إلا المنفعة فقط، وهذا المذهب يعتنق المنفعة بناء على الاعتماد على العقل. يرى **إرميا بنتام** "أن الناس يطلبون اللذة ويجتنبون الألم بالطبع، شأنهم في ذلك شأن الحيوان، ولكنهم يمتازون على الحيوان بأنهم يتبعون مبدأ النفعية حيثما يعمل العقل، أي: إنهم يحكمون بأن الفعل الخير هو الذي يعود بلذة مستمرة أو الذي تزيد فيه اللذة على الألم، وأن الفعل الشرير هو الذي يعود بألم مستمر أو الذي يزيد فيه الألم على اللذة. ولا يمنع من الإقرار بهذا المبدأ سوى الأحكام المتواترة وبنوع خاص العقائد الدينية. فالمطلوب التدليل على أن الأخذ به يعود بأكبر قدر من اللذة أو السعادة التي هي مقصد الكل. ولكي يحكم العقل يجب تقدير اللذات بجميع ظروفها والموازنة بينها. تقاس اللذات أولًا من جهة صفاتها الذاتية، وهي: الشدة والمدة والثبات وقرب المنال والخصب "أي: القدرة على إنتاج لذات أخرى" والنقاء "أي: خلوها من أسباب الألم". وتقاس ثانيًا من جهة عواقبها الاجتماعية، وهي: الخوف الذي يستولي على المواطنين من جراء الجريمة، والقدوة السيئة التي تنشرها بينهم، والاضطراب الاجتماعي الذي تسببه، والقصاص الذي ينزل بالمجرم، فإن القصاص عنصر يدخل في حساب الآلام ويعارض لذة الفعل فيميل بالمرء إلى اتباع القوانين التي يراها المشرع نافعة لأكبر عدد، كما أن المكافأة وإقرار المواطنين وثناءهم تحمل على ذلك أيضًا مع ما فيه من حرمان".[1] ومن خلال ما سبق ذكره فإن ما ذهب إليه هذا الفيلسوف من أن اللذة والحب والكره

(1) المصدر السابق، ص332.

والخوف والألم كل هذا يقوم على مذهب المنفعة الشخصية لا غير، ثم يعارض القوانين الوضعية التي تفرض العقوبات الباهظة على من يخالف تلك القوانين.

المبحث الرابع

معاول الهدم في غريزة الطعام والشراب

من المعروف لدى الدارسين أن قضية الغرائز الإنسانية من أهم القضايا التي شغلت أدمغة المفكرين قديمًا وحديثًا لما لها من الأهمية بمكان وكيف لا؟ وهي التي تحمل في طياتها جانبين: أحدهما معاول الهدم الذي يتمثل في استخدام تلك الغرائز في إشباع الرغبات والنزوات في الحياة، فالغرض من الحياة يكون الأكل والشرب والاستمتاع بشتى النواحي، بينما الجانب الآخر يتمثل في عامل البناء الذي يتمثل في الاعتدال في الحياة المعيشية في المأكل، والمشرب، والملبس، والخوف، والفرح، والغضب، والانفعالات، وما إلى ذلك.

غريزة الطعام والشراب وأهميتها:

مما لا مجال فيه للشك أن الطعام والشراب لا يمكن الاستغناء عنهما بأي حال من الأحوال، ولهذا فإن الكائن الحي لا يستغني عن الطعام والشراب إلا في بعض الحالات النادرة، ومن ثم فالكائن يبحث عن هذه الغريزة ليل نهار من أجل البقاء بجميع أنواعه المندرجة تحت الجنس الأعلى أعني الحيوان.

وقد اهتم الإسلام بالإنسان فنهى عن قتله بغير سبب مشروع كما نهى عن كل ما يضر ببدنه وصحته، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ

(1) سورة الإسراء من الآية: 33.

الْخَبَائِثَ﴾.[1] وقال ﷺ: ((لا ضرر ولا ضرار)).[2]

الصحة النفسية:

يغفل كثير من الناس أهمية الصحة النفسية أو يغفلون السبيل لرعايتها والحفاظ عليها مع أنها ركن أساسي في تحقيق السعادة لذلك حرص الإسلام على تربية النفس الفاضلة وتزكيتها بالخصال النبيلة فكان أهم ما سعى إليه هو تكوين النفس السوية المطمئنة الواثقة. وقوام استواء النفس يكون بالإيمان ثم بالتحلي بالأخلاق الفاضلة والابتعاد عن الخصال الذميمة من الغضب والكبر والْعُجْبِ والبخل والحرص على الدنيا والحسد والحقد وغير ذلك مما يكسب الاضطراب والقلق.[3]

وسائل هدم غريزتي الطعام والشراب:

مما لا شك فيه أن غريزتي (الطعام والشراب)؛ مما لا يستغني عنهما الكائن الحي بأي حال من الأحوال وعليه فإنه من الواجب على الإنسان أن يبتعد كل البعد عن سوء استخدامهما؛ لأن في ذلك دمار للإنسان في صحته في الدنيا، والويل والثبور في الآخرة، وهناك عدة وسائل لهدم غريزتي (الطعام والشراب):

أولًا: تناول الخبائث:

من المعروف أن تناول الخبائث محرم شرعًا وقد "اختلفَ العلماءُ في تفسيرها: فقيل: هي المحرَّمةُ شرعًا. وقيل: هي المستخبثةُ جِبِلَّةً وطَبْعًا على العموم عند النَّاس، لا على الخصوص عند بعض الأشخاص. وقد قيل

(1) سورة الأعراف من الآية: 157.

(2) حديث صحيح، أخرجه ابن ماجة في "سننه" برقم (2331 و 2332).

(3) كتاب السعادة، ص13.

للنبي ﷺ: ((أَحَرَامٌ هُوَ الضّبُّ؟ قَالَ: لَا وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِأَرْضِ قَوْمِي فَأَجِدُنِي أَعَافُهُ))[1]، يعني الضَّبّ، يشيرُ إلى كراهية الاعتياد، وهي مخالفةٌ لكراهية أصل الاستخباث".[2] إن تناول الخبائث قد نهت عنه جميع الشرائع السماوية على الإطلاق، ففي الشريعة الإسلامية حرم الله تعالى كلًا من الميتة، والدم ولحم الخنزير وتحريم كل ما أهل به لغير الله والمنخنقة... إلخ، وجاء هذا التحريم جليًّا في أكثر من موضع، ومن المواضع التي جاء فيها تحريم كل ما سبق ذكره آنفًا، قول الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾[3] والمراد بالميتة هاهنا "هي التي ذهبت منها الحياة أو خرجت منها الروح بدون نقض للبنية، أي ماتت حتف أنفها، فذهاب الحياة له طريقان: طريق هو الموت أي بدون نقض بنية، وطريق بنقض البنية؛ فعندما يخنق الإنسان كائنًا آخر يمنع عنه النفس وفي هذا إزهاق للروح بنقض شيء في البنية؛ لأن التنفس أمر ضروري، وقد يزهق الإنسان ومن رحمة الله أن حرم الميتة؛ لأنها ماتت بسبب لا نراه في عضو من أعضائها، حتى لا نأكلها بدائها.[4]

---

(1) متفق عليه. البخاري في كتاب الذبائح والصيد باب الضب 7/ 125، ومسلم في الصيد والذبائح باب إباحة الضب 3/ 1543 من طريق ابن عباس أن خالد بن الوليد، الذي يقال له سيف الله أخبره.. والموطّأ 2/ 968، وشرح السنة 11/ 237.

(2) المسالِك في شرح مُوَطَّأ مالك، المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (المتوفى: 543هـ) قرأه وعلّق عليه: محمد بن الحسين السُّليماني وعائشة بنت الحسين السُّليماني، قدَّم له: يوسف القَرَضَاوي، الناشر: دَار الغَرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 1428 ه - 2007 م (5/ 296).

(3) سورة المائدة من الآية: 2.

(4) تفسير الشعراوي – الخواطر، المؤلف: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ) مطابع أخبار اليوم(5/ 2914).

ومن هنا فقد حرّم الإسلام الميتة لما فيها من الضرر الذي يقع على صحة الإنسان من انتشار الأوبئة والأمراض التي لا علاج ولا دواء لها، لذلك حرمت الشريعة الإسلامية كل ما يضر بحياة الإنسان "وكذلك حرم الدم، وهو السائل الذي يجري في الأوردة والشرايين ويعطي الجسم الدفء والحرارة وينقل الغذاء، وللدم مجالان في الجريان؛ فهو يحمل الفضلات من الكلى والرئة، وهناك دم نقي يحمل الغذاء، والأوعية الدموية بها لونان من الدم: دم فاسد ودم صالح. وعندما نأخذ هذا الدم قد يكون فيه النوع الصالح ويكون فيه أيضًا النوع الذي لم تخرج منه الشوائب التي في الكلى والرئة، ولذلك يسمونه الدم المسفوح، أي الجاري؛ وكانوا يأخذونه قديمًا ويملؤون به أمعاء الذبائح ويقومون بشيه ويأكلونه.[1]

وإذا كان الله حرم الميتة التي ماتت بإزهاق الروح فإنه سبحانه عطف على ذلك بتحريم لحم الخنزير، وقد أثبتت التحليلات أن في لحم الخنزير دودة شريطية ودودة حلزونية وعدد آخر من الديدان التي لا يقهرها علاج.[2] ونلحظ أن لحم الخنزير "يشمل جميع أجزائه حتى الشحم والجلد، وإنما خص اللحم بالذكر لأنه المقصود الأهم، وقد نفر الشرع من الانتفاع بجميع أجزاء الخنزير."[3] والآيات القرآنية التي ورد فيها تحريم لحم الخنزير قد جمعت هذا التحريم مع تحريم أكل الميتة والدم. وضرر أكل الميتة والدم محقق لما يتجمع فيهما من ميكروبات

(1) المصدر السابق، (5/ 2914).

(2) المصدر السابق، (5/ 2914).

(3) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة: الثانية، 1418هـ (6/ 77).

ومواد ضارة، مما يدل على أن الضرر ينسحب أيضًا على أكل لحم الخنزير. والله الذى خلق الإنسان أدرى به ويعلم ما يضره وما ينفعه".[1]

ثانيًا: الإسراف والتبذير:

الإسراف والتبذير من عوامل الهدم لغريزتي الطعام والشراب واللذان حرمهما الإسلام تحريمًا قطعيًّا لما فيهما من فساد البنية وفساد الأخلاق وفساد الدن.

الإسراف لغة واصطلاحًا:

أولًا: في اللغة: جاء في اللسان لابن منظور أن "السرف والإسراف: مجاوزة القصد. وأسرف في ماله: عجل من غير قصد، وأما السرف الذي نهى الله عنه، فهو ما أنفق في غير طاعة الله، قليلًا كان أو كثيرًا. والإسراف في النفقة: التبذير".[2]

ثانيًا: الإسراف في الاصطلاح: جاء في كتاب المفردات في غريب القرآن للراغب أن "السرف: تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان، وإن كان ذلك في الإنفاق أشهر"[3]، وجاء في كتاب التعريفات للجرجاني أن "الإسراف: هو إنفاق المال الكثير في الغرض الخسيس. والإسراف: تجاوز الحد في النفقة، وقيل: أن يأكل الرجل ما لا يحل له، أو يأكل مما يحل له فوق الاعتدال، ومقدار الحاجة. وقيل: الإسراف تجاوز في الكمية، فهو

(1) المصدر السابق، ص139.

(2) لسان العرب لابن منظور (9/ 148).

(3) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: 502هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - 1412هـ، ص407.

جهل بمقادير الحقوق".[1] وجاء أيضًا في كتاب فتح البارئ لابن حجر العسقلاني أن الإسراف معناه مجاوزة الحد في كل فعل أو قول وهو في الإنفاق أشهر"[2] ومن خلال التعريفات السابقة لتعريف الإسراف يتبين أنه بمعنى التجاوز في الحد المشروع، فيشمل التجاوز في الإنفاق وفي الأكل والشرب أو ما شابه ذلك.

معنى التبذير لغة واصطلاحًا:

أولًا: في اللغة: جاء في (المفردات في غريب القرآن) أن التبذير بمعنى: التفريق، وأصله إلقاء البذر وطرحه، فاستعير لكل مضيع لماله، فتبذير البذر: تضييع في الظاهر لمن لم يعرف مآل ما يلقيه".[3]

ثانيًا: في الاصطلاح: جاء في كتاب التعريفات للجرجاني أن معنى التبذير: هو تفريق المال على وجه الإسراف".[4] وجاء في كتاب (الجامع لأحكام القرآن للإمام للقرطبي) قولي الإمام الشافعي رحمه الله في التبذير أنه بمعنى "إنفاق المال في غير حقه، ولا تبذير في عمل الخير...،

---

(1) كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ-1983م، ص24.

(2) فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، 1379هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (10/ 253).

(3) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص114.

(4) التعريفات، ص51.

وقول أشهب عن مالك رحمه الله في التبذير أنه بمعنى: أخذ المال من حقه ووضعه في غير حقه، وهو الإسراف، وهو حرام".[1]

الإسراف في الأكل والشبع المفرط:

من المعروف أن الإسراف في الأكل والشرب والشبع المفرط من الأمور التي نهى عنها الإسلام وحرمها وأمر بالوسطية والاعتدال في قوله سبحانه: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[2].

جاء في تفسير ابن كثير أن المراد بالإسراف هو أن "لا تأكلوا حرامًا... وقال عطاء الخراساني عن ابن عباس قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين في الطعام والشراب".[3]

وقال الماوردي فيه ثلاثة تأويلات: أحدها: لا تسرفوا في التحريم، قاله السدي. والثاني: معناه لا تأكلوا حرامًا فإنه إسراف، قاله ابن زيد. والثالث: لا تسرفوا في أكل ما زاد على الشبع فإنه مضر".[4]

---

(1) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ-1964 م(10/ 247).

(2) سورة الأعراف آية: 31.

(3) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى - 1419هـ (366/3).

(4) تفسير الماوردي = النكت والعيون، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ) المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان (2/ 218).

ومن خلال ما سبق يظهر أن النهي في الآية الكريمة عن الإسراف يفيد التحريم، فيحرم على الإنسان أن يأكل فوق طاقة نفسه فإن فيه المضرة التي تلحقه كالتخمة وما شابه ذلك. ومن هنا يجب على الإنسان أن يكون عادلًا حتى في أمور الطعام والشراب.

يقول ابن القيم في كتابه الفوائد: "العدل وهو الأخذ بالوسط الموضوع بين طرفي الإفراط والتفريط وعليه بناء مصالح الدنيا والآخرة بل لا تقوم مصلحة البدن إلا به فإنه متى خرج بعض أخلاطه عن العدل وجاوزه أو نقص عنه ذهب من صحته وقوته بحسب ذلك وكذلك الأفعال الطبيعية كالنوم والسهر والأكل والشرب والجماع والحركة والرياضة والخلوة والمخالطة وغير ذلك إذا كانت وسطًا بين الطرفين المذمومين كانت عدلًا وإن انحرفت إلى أحدهما كانت نقصًا وأثمرت نقصًا"[1]، لذلك كان توجيه النبي الكريم ((بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان ولابد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه)).[2]

ويقول **القرطبي:** "من الإسراف الأكل بعد الشبع. وكل ذلك محظور. وقال لقمان لابنه: يا بني لا تأكل شبعًا فوق شبع، فإنك أن تنبذه للكلب خير من أن تأكله".[3]

(1) الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، 1393هـ-1973م، ص141.

(2) أخرجه الترمذي، صحيح سنن الترمذي، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة التربية العربي لدول الخليج، الرياض، رقم (1939)، 281/2.

(3) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ص24.

وقد جاء النهي في الحديث الشريف في قوله ﷺ: (أَصْلُ كُلِّ دَاءٍ البردة)[1]، وأصل (البرَدَة) بفتح الموحدة وفتح الراء ودال مهملة وقد تسكن الراء، وهي التخمة وثقل الطعام على المعدة سميت بذلك لأنها تبرد المعدة ولا يستمرئ الطعام.[2] ونلحظ أن سبب تسمية البردة بهذا الاسم كما يقول المناوي رحمه الله وذلك؛ لأنها تبرد المعدة فلا تستمرئ الطعام. وذلك بمعنى تفسير بعض الأطباء بأنها إدخال الطعام على الطعام قبل هضم الأول فإن بطء الهضم أصله البرد الذي بردت منه المعدة قال بعض شعراء الأطباء في ذلك:

ثــلاث مهلكـات للأنــام ... وداعيـة السقام إلى السقام
دوام مدامة ودوام وطء ... وإدخال الطعام على الطعام[3]

كما نلحظ أن "هذا الحديث من جوامع الكلم وهو إشارة إلى أحد قواعد الطب الثلاث وهي: (الحمية عن المؤذي، وحفظ الصحة واستفراغ

(1) أخرجه: ابن حبان في "المجروحين" 204/1، وابن عدي في "الكامل" 279/2، وأبو أحمد العسكري في "أخبار المصحفين": 64 عن الحسن، عن أنس مرفوعًا. قال الدارقطني: الأشبه بالصواب أنه من قول الحسن. انظر: "كشف الخفاء" (380). وقال ابن عدي: ولعل البلاء في هذا الحديث من محمد بن جابر الحلبي لأنه مجهول ولا يعرف حاله. انظر: الكامل 280/2.

(2) النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ) الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ-1979م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي (1/ 115).

(3) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ) الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، 1356هـ، (1/ 532).

المواد الفاسدة) فأرشد -ﷺ- بالحديث إلى حفظ الصحة بالإخبار بأن كل داء أصله التخمة، فإذا تجنبها الإنسان كان صحته محفوظة، ومن كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب: المعدة بيت الداء".[1]

وجاء في كتاب ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر لابن خلدون أن معنى البردة إدخال الطّعام على الطّعام في المعدة قبل أن يتمّ هضم الأوّل. وشرح هذا أنّ الله سبحانه خلق الإنسان وحفظ حياته بالغذاء يستعمله بالأكل وينفذ فيه القوى الهاضمة والغاذية إلى أن يصير دمًا ملائمًا لأجزاء البدن من اللّحم والعظم، ثمّ تأخذه النّامية فينقلب لحمًا وعظمًا.[2]

الإسراف في الأكل يضر بالبدن:

لقد ذكر بعض العلماء أن الإسراف في الأكل يضر بالبدن ضررًا فادحًا، كما يكون سببًا في دمار صحة الإنسان من جميع النواحي بل يكون سببًا في هلاك الصحة وذلك لأنه يعتبر أصل كل داء، وأصل المشاكل كلها في البدن، كما جاء في قول الحارث بن كلدة طبيب العرب: "المعدة بيت الداء، والحميةُ رأس كل دواء".

---

(1) التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: 1182هـ) المحقق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة: الأولى، 1432هـ-2011م، (2/ 412).

(2) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: 808هـ). المحقق: خليل شحادة، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1408هـ-1988م، ص521.

وقد ذكر بعض العلماء الأجلاء أقوالًا في عدم الإسراف في المأكل والمشرب، يقول العلامة الطاهر ابن عاشور في تفسيره المعروف بالتحرير والتنوير "ولا تسرفوا في الأكل بكثرة أكل اللحوم والدسم لأن ذلك يعود بأضرار على البدن وتنشأ منه أمراض معضلة. وقد قيل إن هذه الآية جمعت أصول حفظ الصحة من جانب الغذاء".[1]

ويقول الشيخ رشيد رضا في تفسيره المعروف: "فمن جعل شهوة بطنه أكبر همه فهو من المسرفين، ومن بالغ في الشبع وعرض معدته وأمعاءه للتخم فهو من المسرفين، ومن أنفق في ذلك أكثر من طاقته، وعرض نفسه لذل الدين أو أكل أموال الناس بالباطل، فهو من المسرفين، وما كان المسرف من المتقين[2]، ويقول الإمام البغوي في تفسيره[3] "قال علي بن الحسين بن واقد: جمع الله الطب كله في نصف آية فقال: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾.[4]

---

(1) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: 1984هـ (8/ 95).

(2) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990م، (7/ 25).

(3) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: 510هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي. الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1420هـ (2/ 189).

(4) سورة الأعراف آية: 31.

ومن هنا فالإنسان المتجاوز في حد الشبع يؤدي بنفسه إلى التخمة ويكون هذا الشبع سببًا في دماره وعليه "فالمتجاوز من ذلك ما حدده الشارع خاطب على نفسه متحمل ثقل وباله ولو لم يكسب المقل من الأكل إلا التخفيف عن بدنه من كظ المعدة ونتن التخمة، لكان جريانه يجري ذلك لها طلب الترويح عنها، فكيف والإكثار منه الداء العضال، وبه كان يتعاير أهل الجاهلية والإسلام.[1]

وتناول الإنسان الطعام الكثير دون مراعاة الصحة فإن هذا يؤدي بالإنسان إلى كثرة المشاكل في جميع أجهزة الإنسان لاسيما الجهاز الهضمي والمناعة وتنتشر جميع الأمراض في الجسم وأخطرها على الإطلاق مرض الحمى، ومن هنا "فإنّه أصل الأمراض ومعظمها... وسببها أنّ الحارّ الغريزيّ قد يضعف عن تمام النّضج في طبخه في كلّ طور منه، فيبقى ذلك الغذاء دون نضج، وسببه غالبًا كثرة الغذاء في المعدة".[2]

وعليه فقد حثّ الإسلام أتباعه على الوسطية التي هي شعاره دائمًا وأبدًا، وذلك "كالوسط في الطعام والشراب فالمبالغة في الإكثار تسبب كثيرًا من الأمراض والمبالغة في الإقلال تلحق بصاحبها الضعف والهزال قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[3]، فالإسراف يكون بتجاوز الحد.[4]

---

(1) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، المؤلف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: 804هـ) المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الناشر: دار النوادر، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، 1429هـ-2008م (36/ 111).

(2) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، لابن خلدون، ص521.

(3) سورة الأعراف آية: 31.

(4) وسطية الإسلام وسماحته ودعوته للحوار، المؤلف: أ. د. محمد بن أحمد الصالح، الناشر: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، ص34.

المبحث الخامس

معاول الهدم في غريزة حب المال وإساءة استخدامها

من المسلم به أن المال من النعم الإلهية التي يعطيها الله تعالى لبعض عباده، ومن حكمته تعالى أن جعل الناس متفاوتين في العطاء، وقسم الناس إلى أنواع منهم الغني، والفقير، والقوي، والضعيف، والسعيد، وغير السعيد، كل ذلك من أجل أن تستقيم الحياة.

غريزة حب المال في القرآن الكريم:

لقد جاء القرآن الكريم ببيان هذا الحب في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[1] وجاء في تفسير هذه الآيات أن "الإنسان على كونه كنودًا جحودًا لشهيد، يشهد على نفسه بالجحود والكفران، أي بلسان حاله، وظهور أثر ذلك عليه، في أقواله، وأفعاله، بعصيان ربه. وإن الإنسان أيضًا، بسبب حبه للمال، لبخيل به، أو إن حبه للمال قوي، فتراه مجدًّا في طلبه وتحصيله، متهالكًا عليه، ويكون هناك معنيان صحيحان للآية: أحدهما: وإنه لشديد المحبة للمال. والثاني: وإنه لحريص بخيل بسبب حبه المال، أي من أجل حب الخير لشديد، أي بخيل بالمال، ضابط له[2] وفي قوله سبحانه: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾.[3] ومن هنا يتضح أن القرآن الكريم بيّن لنا خطوط الانحراف في

(1) سورة العاديات الآيات 6-8.

(2)التفسير الوسيط للزحيلي المؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر - دمشق، الطبعة: الأولى - 1422هـ (2/ 2918).

(3) سورة الفجر آية: 20.

جمع المال وحبه، واتضح لنا أن جمع المال مشروع، ولكن الانحراف يكون في الإفراط فيه أو التفريط، وكذلك فإن حب المال ليس رجسًا أو عارًا، بل هو أمر جبلي فطري، لا ينفي ذلك إلا مكابر أو شاذ، والشذوذ يؤكد القاعدة: وإنما الأمر المنهي عنه هو الغلو في حبه وتقديسه، والتوسط في ذلك هو المشروع.[1]

غريزة المال ووسائل هدمها:

هناك عدة وسائل من خلالها يكون المال وباء على صاحبه في الدنيا والويل والثبور له في الآخرة، وهذه الوسائل هي:

البخل والشح:

والبخل والشح من وسائل هدم غريزة المال في الشريعة الإسلامية، ومن المسلم به أن المال وسيلة وليس غاية إذ أن هناك صنف من الناس يجعلون المال غاية وليس وسيلة، فهؤلاء قد ضلوا ضلالًا بعيدًا.

معنى البخل والشح لغة واصطلاحًا:

معنى البخل لغةً: جاء في مختار الصحاح أن "الْبُخْلُ، وَ(الْبَخْلُ) بِالْفَتْحِ وَ الْبَخَلُ بِفَتْحَتَيْنِ كُلُّهُ بِمَعْنًى وَقَدْ بَخِلَ بِكَذَا مِنْ بَابِ فَهِمَ وَطَرِبَ وَ بُخْلًا أَيْضًا بِالضَّمِّ فَهُوَ (بَاخِلٌ) وَ بَخِيلٌ وَ بَخَّلَهُ نَسَبَهُ إِلَى الْبُخْلِ".[2]

(1)الوسطية في ضوء القرآن الكريم، المؤلف: ناصر بن سليمان العمر، الناشر: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، ص304

(2) مختار الصحاح، المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ) المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، 1420هـ/1999م، ص30.

معنى البخل اصطلاحًا: عرفه ابن حجر بقوله "هو منع ما يطلب مما يقتنى وشره ما كان طالبه مستحقًا ولاسيما إن كان من غير مال المسؤول"[1] وقال الجرجاني: (البخل هو المنع من مال نفسه)"[2] ومن خلال التعريفين السابقين لمفهوم البخل يتضح أنه هو المنع وعد الانفاق في وجه الخير.

معنى الشح في الاصطلاح: عرفه الإمام النووي بقوله: "والشح هو البخل بأداء الحقوق والحرص على ما ليس له"[3] كما عرفه الإمام الطبري بقوله: "الشح: الإفراط في الحرص على الشيء"[4] ومن خلال التعريفات السابقة لمصطلحي البخل والشح يظهر أنهما يراد بهما عدم العطاء والخوف منه وأيضًا يراد بهما الحرص الشديد والطمع اللذان ما إن لبثا بإنسان كانا سببًا في هلاكه ودماره.

الأثر المترتب عليهما في الدنيا:

إن الأثر المترتب على الشح والبخل هو الضنك والحرص الشديد الذي يعقبه طمع وعليه "فإن ضرر البخل في الدنيا تعريض مال الغني

(1) فتح الباري، لابن حجر (10/ 457).

(2) التعريفات، للجرجاني ص42.

(3) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، 1392هـ، (16/ 222).

(4) تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، 1422هـ-2001م (5/ 467).

للضياع والنهب والسرقة والأحقاد، وفي عصرنا وغيره ظهور الحملات الشنيعة على الأغنياء المترفين، وانتشار الأفكار والنظريات المسماة بالاشتراكية التي ظهرت لتقويض أركان الرأسمالية."[1]

وقد وضح لنا الإسلام الطريقة المثلى للتعامل مع المال من حيث استخدامه في التجارة والصناعة وغيرهما من وسائل الإنتاج سواء الزراعي أم الصناعي أم التجاري، وعلى كل حال فإن الإسلام يتسم بالوسطية حتى مع المال فهو "وسط في العمل للدنيا والآخرة، وفي عقيدة الإسلام يعتقد أن كلًا منهما عبادة لله تعالى وتحقيق لغاية الوجود الإنساني ضمن شروط معينة، بينما تأرجحت المذاهب الأخرى بين الاهتمام بالنواحي المادية الذي يظهر في المدنية الغربية الحديثة، وأصبح معبودها هو المال والقوة والرفاهية والرقي المادي - وبين الازدراء لهذا الرقي المادي والمتاع الدنيوي كما هو الشأن في المذاهب التي تدعو إلى الرهبنة وتعذيب الجسد من أجل الروح وتهذيبها للوصول إلى مرحلة الفناء".[2]

النهي عن الإسراف والتبذير:

من المعروف أن الإسراف في المال من أكبر الآثام التي يرتكبها الإنسان في حياته، ونلحظ أن الإسراف إذا كان في وجوه الخير فلا بأس به ومن ثم فالإسراف المذموم هو الإسراف على النفس والترف، والآيات القرآنية الواردة في هذا الشأن أكثر من أن تحصى فالقرآن

(1) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة: الثانية، 1418هـ (4/ 180).

(2) بحوث ندوة أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو، المؤلف: مجموعة من العلماء، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، 1425ه، ص324.

يصف المترفين أحيانًا بسقوط الهمة، جاء ذلك الوصف في قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾[1]، ومعنى الآية: أن الله تعالى قد "ذم في هذه الآيات فريقًا ويمدح فريقًا آخر، فيذم المتخلفين عن الجهاد، مع القدرة عليه، ووجود الثروة والغنى (أو السعة والطول) واستأذنوا الرسول في القعود. فكلما أنزلت سورة - والمراد بالسورة إما تمامها وإما بعضها، كما يقع القرآن والكتاب على كله وبعضه - فيها الأمر بالإيمان والدعوة إلى الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، استأذنك أولو الطول، أي ذوو الفضل والسعة، وأولو المقدرة على الجهاد بالمال والنفس، في التخلف قائلين: اتركنا مع القاعدين في بيوتهم من النساء والصبيان والعجزة والضعفاء".[2] ولا غرابة أن المترف ضعيف الإرادة بالكلية، ودائمًا وأبدًا تجده متكبرًا ولذلك نجد أن القرآن الكريم يتحدث عنهم، فإذا هم قوم يتكبرون بأموالهم ويحسبون أنها هي كل شيء وما سواهم لا قيمة له على الإطلاق. يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾[3] وقوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾[4]

(1) سورة التوبة آية: 86.

(2) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي (10/ 342).

(3) سورة سبأ آية: 34.

(4) سورة الفرقان، الآيتان: 17، 18.

المبحث السادس

معاول الهدم في غريزة الميول الجنسية

وإساءة استخدامها

من المعلوم أن غريزة الجسد من الغرائز التي تحتمل أمرين لا ثالث لهما، الأمر الأول وهو: أن الميل إلى شهوات الدنيا أمر فطري في خلق الإنسان، فإن الناس أمام هذه الحقيقة طرفان ووسط، والأمر الثاني: وهو أن هناك من وقف أمام هذا الميل موقفًا مغاليًا، فحرّم على نفسه الطيبات وغيرها، ومنعها من الملذّات، وما فُطرت عليه من الزواج والمال وأطايب الملابس والمآكل، مثل رهبان النصارى وغلاة الصوفية، فلدى النصارى رهبانية قاسية على النفس، تحرم الزواج، وترفض كل أشكال الزينة، وطيبات الرزق، وأصبح هذا النزوع مذهبًا رائجًا".[1]

فغريزة الجسد يعتريها النقصان عندما يعطيها الإنسان أكثر من حجمها بمعنى أنها تأخذ حظها من شهوات الدنيا كلها وأصحاب هذا الاتجاه يرون أن "الجسد سجن للروح، يحول بينها وبين أشواقها العالية، وشفافيتها السامية، فاخترعوا الرياضيات الروحية الشاقة، التي تقوم على إرهاق الجسد وتعذيبه، وتحوّله إلى شبح هزيل، يسكن المغاور والمقابر والكهوف، وينفر من كل الصلات الإِنسانية"[2].

(1) نقلًا عن كتاب الوسطية في ضوء القرآن الكريم، المؤلف: ناصر بن سليمان العمر، ص325.

(2) المسلمون بين التشديد والتيسير للعودة، ص13. والوسطية في الإسلام، ص44.

غريزة الشهوات (والميول الجنسية):

مما لا مجال فيه للشك أن غريزة الجنس من الغرائز الإنسانية التي تحمل أمرين هما معاول الهدم، والآخر عامل البناء، ومن ثم فسوف نكشف النقاب عن العامل الأول، ثم نعقبه بالكشف عن العامل الآخر:

غريزة الشهوات وعوامل انتكاسها:

من المعلوم أن غريزة الشهوات تنتكس وترجع بالإنسان إلى سلب آدميته التي خلق عليها مثل ما يحصل مع أصحاب الشهوات الذين همهم بطونهم وقضاء أقواتهم في أماكن اللهو واللعب والملذات الشهوانية. ومن هنا فهناك عوامل تعود على الإنسان الذي أطلق لنفسه العنان ولم يصلح من حال نفسه وهي:

الاضطرابات النفسية والجسدية:

تعود الاضطرابات على المراهق الذي أطلق لنفسه العنان في إشباع رغباته وملذاته ويعيش حياته في الملذات:

1) الإرهاق المستمر:

إن بعض مشكلات المراهق قد يسهل تفهمها، فالمراهق الذي يسعى لبناء علاقة متبادلة متكافئة مع أعضاء جنسه أو الجنس المخالف والذي يقابل دائمًا بالرفض أو التوبيخ، قد يصبح قلقًا وغير واثق من نفسه، ومن التفاعلات الاجتماعية، وبالتالي يميل إلى الانسحاب والعزلة، ويصعب علينا تقدير ما ينتاب المراهق من اكتئاب بسبب فقد والده أو شخص عزيز عليه، والقلق الحاد والأحلام المزعجة لمراهق قد مرّ حديثًا بخبرة مؤلمة أو سيئة، ومع ذلك فإن أنواعًا أخرى من الأعراض ليس من السهولة تفهمها".[1]

(1) علم نفس النمو من الجنين إلى الشيخوخة، المؤلف: عادل عز الدين الأشول، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية، ص598.

2) اكتئاب المراهق:

وهذه الحياة التي يعيشها المراهق نتيجة الانغماس في الشهوات والملذات مليئة بالاكتئاب[1] الذي يعد من الأمراض المنتشرة الآن في بعض البلاد والتي هي بعيدة كل البعد عن منهج الإسلام، والاكتئاب: هو حالة يشعر فيها الفرد بالكآبة والكدر والغم والحزن الشديد وانكسار النفس والتشاؤم دون سبب مناسب أو لسبب تافه، فيفقده لذة الحياة، ويرى أنها خالية من الأمن والسلام، لا معنى لها ولا هدف له فيها، فتثبط عزيمته ويفقد اهتمامه بعلمه وشؤونه، وقد يكره الحياة.[2]

ظهور الانحلال الخلقي في المجتمع:

يعد الاستقلال الجنسي من أخطر الأمراض المنتشرة على الساحة خاصة في زمن انطلق فيه الحبل على الغارب. وهناك عوامل أدت إلى الانحلال الخلقي فيجب أن تؤخذ بعين الاعتبار، مع ملاحظة أن هناك تقاليد غربية هي السبب في انحلال الأخلاق الإنسانية وفي خلع الإنسان

---

(1) ذكرت جريدة (المسلمون) عدد 240 في شهر صفر سنة 1410هـ، أن هناك 200 مليون مكتئب على وجه الأرض! الاكتئاب العالم!! لا يفرق بين دولة غربية وأخرى شرقية! أو غني وفقير. إنه مرض يصيب الجميع.. ونهايته في الغالب الانتحار. الانتحار لا يعترف بالأسماء والمناصب والدول، لكنه يخاف من المؤمنين، بعض الأرقام تؤكد أن ضحاياه وصلوا إلى 200 مليون مريض في كل أنحاء العالم.. إلا أن آخر الإحصاءات تؤكد أن واحدًا على الأقل بين كل عشرة أفراد على وجه الأرض مصاب بهذا المرض الخطير!! وقد وصلت خطورة هذا المرض أنه لا يصيب الكبار فقط، بل يصل إلى حد مداهمة الجنين في بطن أمه". يراجع: لا تحزن، المؤلف: عائض بن عبد الله القرني، الناشر: مكتبة العبيكان، ص226.

(2) التوجيه والإرشاد النفسي، المؤلف: الدكتور حامد عبد السلام زهران، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الثالثة، ص351.

من إنسانيته إلى الجري وراء شهواته وملذاته، ومن هنا فقد أصبح لتلك التقاليد الغربية عشاق يدعون إليها، وقد بدأ مجتمعنا ينساق نحوها، وأدى ذلك إلى ظهور الانحلال الخلقي في المجتمع.[1]

ومن العوامل أيضًا التي أدت إلى الانحلال الخلقي، واستمرار هذا الانحلال (الأدب المنحل)، والسينما والمسرح بما يعرض فيهما من الفحش، وانتشار الفيديو، وأفلامه الخاصة، وكذلك التليفزيون في بعض برامجه حتى أن دولة كبرى تعرض فيها قناة خاصة تعمل 24 ساعة لطالبيها باشتراك خاص، وتقدم لهم ذاك المستوى الهابط الذي يراه المرء في بعض الحيوانات التي لا تعقل![2]

ويضاف إلى ذلك ما أثارته نظرية التطور والنشوء والارتقاء لدارون، ونظرية الجنس لفرويد الذي يفسر كل حركة في الكون على أن مردها الجنس حتى رضاعة الطفل يفسرها كذلك! وبهذا المنهج الذي أشيع في كثير من دول العالم حقر من شأن الإنسان ومن أصله الحيواني تارة، ومن دوافعه الجنسية، ووحله فيها تارة أخرى. كله ثمرته الخبيثة".[3]

أثر الاختلاط المحرم على المجتمع:

هناك أثر للاختلاط المنتشر في المجتمع دون أن يراعي المجتمع الثوابت والضروريات التي من أهمها: المحافظة على التقاليد التي هي من ثوابت المجتمع المسلم، ولا ريب في أن من خرج عن تلك الثوابت انغمس

---

(1) من قضايا التربية الدينية في المجتمع الإسلامي، المؤلف: كمال الدين عبد الغني المرسي، الناشر: دار المعرفة الجامعية، الطبعة: الأولى 1419هـ/ 1998م، ص226.

(2) المصدر السابق، ص226.

(3) المصدر السابق، ص226.

في براكن المعاصي ومن الجدير بالذكر أنك تجد "في هذا العصر بعض الذين تأثروا بالثقافات الأجنبية ينادون بتطبيق الاختلاط بين المرأة والرجل والفتاة والشاب مدعين أن لهذا الاختلاط منافع كثيرة، منها حل لغز المرأة في حياة الرجل، وتحقيق حسن المعاشرة بين الجنسين وإثارة التنافس بينهما، والائتناس بينهما، وسكون كل منهما للآخر، وهم في ذلك إنما يدعون إلى المحرمات، فتكون نتيجة هذا الاختلاط الإفضاء الجنسي المحرم الذي يزين الفاحشة ويعزي بها، وتكون المرأة في النهاية هي الضحية".[1]

ومن هنا فقد أصبح الاختلاط في المجتمع أمرًا لا غبار عليه عند أولئك الذين أصبحت الدنيا هي شغلهم الشاغل والمادة والمتعة الجنسية لا يستغنون عنها بأي حال من الأحوال، وعلى أي حال صار الاختلاط دأبهم وملاذهم "وبسببه تشبهت البنات بالبنين، وتشبه الفتيان بالفتيات، حتى إنه يصعب على الرائي في بعض الأحيان أن يميز بين الذكر والأنثى في زحام الطلبة والطالبات؛ لتشابه الجنسين في الملبس، كما قد نجد أيضًا التفنن في ارتداء الأزياء الصارخة في الإثارة، والتي كثيرًا ما تبرز مفاتن البنت أو تصف ما تحتها".[2]

التربية الجنسية:

التربية الجنسية من أهم القضايا التي ينبغي الاعتناء بها خاصة في هذا الزمن العصيب الذي يحوي بين جنباته من وقت لآخر وسائل الاتصال من (نت، وفيس بوك، وواتس أب، ويوتيوب) ومن المعروف أن "وسائل الاتصال سلاح ذو حدين: إن استخدم في الخير نفع نفعًا عظيمًا،

(1) من قضايا التربية الدينية في المجتمع الإسلامي، المؤلف: كمال الدين عبد الغني المرسي، الناشر: دار المعرفة الجامعية، الطبعة: الأولى 1419هـ/ 1998م، ص226.

(2).المصدر السابق، ص232.

وإن استخدم في ضرر المسلمين ضرَّ ضررًا كبيرًا، وهذا السلاح قادر على تزويد الناس بالحقائق، وعلى قلبها أيضًا بطريقة تتسرب في أعماق الجماهير بحسبان أنها حقائق علمية لا تقبل الطعن"[1] ومن الجدير بالذكر أن التربية الجنسية لها جذور تاريخية في حياة الإنسانية، وقد اعتنى بها القرآن الكريم وكذا السنة النبوية المطهرة.

توجيهات القرآن الكريم نحو هذه الغريزة:

إن الناظر في القرآن الكريم يجده قد بيّن في سوره التي تبلغ (مئة وأربع عشرة سورة) التوجيه الأمثل في ضبط هذه الغريزة، ففي سورة النور وضع عدة توجيهات للشباب والشابات من أجل ضبط النفس الإنسانية نحو هذه الغريزة. ومن هذه التوجيهات الإلهية نحو ضبط الغريزة الجنسية ما يلي:

1) **تنظيم علاقات الأفراد في الأسرة الواحدة:**

وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.[2] وفي هذا البيان القرآني يرشدنا الحق تبارك وتعالى إلى ضبط الأولاد في البيت الواحد وذلك بعدم تطلعهم إلى أمور لو انكشفت لهم لتغيرت أحوالهم وسلوكياتهم إلى ما هو أسوأ، ومن هنا فالآية

(1)المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة من بحث الشيخ إبراهيم سرسيق (ص7).
(2) سورة النور آية: 58.

الكريمة "تُعلِّمنا آداب الاستئذان داخل الأسرة المكوَّنة من الأبويْن والأبناء، ثم الأتباع مثل الخدم وغيرهم، والحق تبارك وتعالى يريد أن يُنشِّئَ هذه الأسرة على أفضل ما يكون، وشرع الله لنا آداب الاستئذان؛ لأن الإنسان ظاهرًا يراه الناس جميعًا ويكثر ظاهره للخاصة من أهله في أمور لا يُظهرها على الآخرين، إذن: فَرُقْعة الأهل والملاصقين لك أوسع، وهناك ضوابط اجتماعية للمجتمع العام، وضوابط اجتماعية للمجتمع الخاص وهو الأسرة، وحرية المرء في أسرته أوسع من حريته في المجتمع العام، فإنْ كان في حجرته الخاصة كانت حريته أوسعَ من حريته مع الأسرة. فلا بُدَّ إذن من ضوابط تحمي هذه الخصوصيات، وتُنظِّم علاقات الأفراد في الأسرة الواحدة، كما سبقت ضوابط تُنظِّم علاقات الأفراد خارج الأسرة.[1]

2) التربية الأخلاقية للأولاد، وللأسرة بعامة:

من المعروف أن الوالدين مسؤولان عن تربية الأولاد وضبط عواطفهم مسؤولية كاملة أمام الله تعالى، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.[2] يقول الإمام الغزالي في الأحياء: "أمرنا أن نقيهم النار كما نقي أنفسنا والإنسان قد يعجز عن القيام بحق نفسه وإذا تزوج تضاعف عليه الحق وانضافت إلى نفسه نفس أخرى والنفس أمارة بالسوء إن كثرت عليها الحقوق كثر الأمر بالسوء غالبًا ولذلك اعتذر بعضهم من التزويج وقال أنا مبتلي بنفسي وكيف أضيف إليها نفسًا

(1) تفسير الشعراوي (10330/7).

(2) سورة التحريم آية: 6.

أخرى".[1] ومن هنا فتربية الأولاد من أعظم المسؤولية التي تقع على عاتق الوالدين ومن هنا فإن تربية الأولاد وتعليمهم لأمر عظيم له شأنه الأكبر وخطره الجسيم في حياتنا الدينية والاجتماعية، والخلقية، فهم قوى المجتمع المنتظر ودعائمه التي سيقوم عليها، وعليهم وحدهم يتوقف رقي الأمة الحقيقي ونموها وتقدمها. وإن أمامهم لخطر عظيم وغزو هائل متستر ببعض الثقافات لهدم عقائدهم وفساد أخلاقهم، وانتزاع روح الإباء والغيرة والعفاف من نفوسهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله".[2]

3) تتبع أحوال الأولاد من وقت لآخر:

من المعلوم أن تتبع أحوال الأولاد من أعظم الأمور التي ينبغي على الوالدين تتبعها من وقت لآخر، وبناء على ذلك "فإن ترك هذا التتبع يؤدي بالأولاد إلى الهاوية في مستنقع الرذائل التي نهى عنها الإسلام" ولا يجوز للأبوين أيضًا: أن يتركا تتبع أحوال أولادهما، بل عليهما أن يسألا عمن يعاشرون من الرّفقة والأصحاب، وإلى أين يذهبون.. وأن يحذراهم دائمًا من معشر السوء.. وأن يراقبا ما يقرؤون من كتب ومجلات.. وما يشاهدونه ويسمعونه من أفلام وتسجيلات.. وخصوصًا في هذا الأيام، التي كثرت فيها أفلام الخلاعة والدعارة "الجنس" بواسطة ما يعرف بـ"الفيديو".[3]

---

(1) إحياء علوم الدين، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت (34/2).

(2) موارد الظمآن لدروس الزمان، خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان، المؤلف: عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن السلمان (المتوفى: 1422هـ) الطبعة: الثلاثون، 1424هـ (4/ 170).

(3) أزمات الشباب أسباب وحلول، المؤلف: القاضي محمد أحمد كنعان، تم تبييض الكتاب في شهر محرّم عام 1411هـ الموافق لشهر آب عام 1990م، الناشر: دار البشائر - بيروت لبنان، ص80.

4) التحذير من المحرمات:

إن من الأمور التي يجب على الوالدين نهي الأولاد عنها المحرمات وما يندرج تحتها، وذلك لأنها تكون سببًا في انتكاس الفطرة وهذه الأمور هي:

1- تحذير الأولاد من الكفر والسب واللعن والكلام البذيء وإفهامهم بلطف أن الكفر حرام، يسبب الخسران ودخول النار، وعلينا أن نحفظ ألسنتنا أمامهم لنكون قدوة حسنة لهم.[1]

2- تحذير الأولاد من الميسر بأنواعه كاليانصيب، والطاولة، وغيرها لأنها تجر إلى القمار، وتورث العداوة أو أنها خسارة لهم ولمالهم ولوقتهم، وضياع لصلواتهم.

3- منع الأولاد من قراءة المجلات الخليعة، والصور المكشوفة، والقصص الجنسية، ومنعهم من مثل هذه الأفلام في السينما والتلفزيون لضررها على أخلاقهم ومستقبلهم.

4- تحذير الولد من التدخين وإفهامه أن الأطباء أجمعوا على أنه يضر الجسم ويورث السرطان، وينخر الأسنان، كريه الرائحة، معطل للصدر، ليست له فائدة، فيحرم تعاطيه وبيعه. وينصح بأكل الفواكه والموالح عوضًا عنه.[2]

5- تعويد الأولاد الصدق قولًا وعملًا، بأن لا نكذب عليهم ولو مازحين، وإذا وعدناهم فلْنفِ بوعدنا، وفي الحديث: ((آيَةُ المُنافِقِ ثَلاَثٌ:

---

(1) توجيهات إسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع، المؤلف: محمد بن جميل زينو، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1418ه، ص92.

(2) المصدر السابق، ص93.

إذَا حَدَّثَ كَذَبَ وإذَا وعَدَ أخْلَفَ وإذَا ائْتُمِنَ خانَ)) متفق عليه".[1]

6- أن لا نطعم أولادنا بالمال الحرام كالرشوة والربا والسرقة ومنها الغش وهو سبب لشقائهم وتمردهم وعصيانهم.[2]

7- عدم الدعاء على الأولاد بالهلاك والغضب لأن الدعاء قد يستجاب بالخير والشر، وربما يزيدهم ضلالًا، والأفضل أن نقول للولد: أصلحك الله.[3]

(1) أخرجه البخاري في صحيحه باب علامة المنافق حديث (33)، ومسلم في صحيحه باب خصال المنافق حديث (59).

(2) توجيهات إسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع، المؤلف: محمد بن جميل زينو، ص96.

(3) المصدر السابق، ص96.

المبحث السابع

معاول الهدم في غريزة الغضب وإساءة استخدامها

مما لا مجال فيه للشك أن الغضب ذو حدين، غضب مذموم، وغضب ممدوح.

معنى الغضب لغة واصطلاحًا:

أولًا: في اللغة: جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس أن الغضب "الغين والضاد والباء أصل صحيح يدل على شدة وقوة. يقال: إن الغضبة: الصخرة الصلبة. قالوا: ومنه اشتق الغضب، لأنه اشتداد السخط. يقال: غضب يغضب غضبًا، وهو غضبان وغضوب. ويقال: غضبت لفلان، إذا كان حيًّا؛ وغضبت به، إذا كان ميتًا".[1]

ثانيًا: معنى الغضب اصطلاحًا: جاء في كتاب التعريفات للجرجاني أن الغضب هو "تغير يحصل عند غليان دم القلب؛ ليحصل عنه التشفي للصدر".[2] وجاء في كتاب جامع العلوم والحكم لابن رجب أن الغضب معناه "غليانُ دم القلب طلبًا لدفع المؤذي عندَ خشية وقوعه، أو طلبًا للانتقام ممن حصل له منه الأذى بعدَ وقوعه"[3] وعرفه ابن

(1) معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399هـ-1979م. (4/ 428).

(2) التعريفات، للجرجاني، ص162.

(3) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي،

قدامة بأنه "غليان دم القلب لطلب الانتقام، فمتى غضب الإنسان ثارت نار الغضب ثورانًا يغلي به دم القلب، وينتشر بالعروق، ويرتفع إلى أعالي البدن، كما يرتفع الماء الذي يغلي في القدر، ولذلك يحمر الوجه والعين والبشرة وكل ذلك يحكي لون ما ورائه من حمرة الدم، كما تحكي الزجاجة لون ما فيها، وإنما ينبسط الدم إذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه.[1]

أقسام غريزة الغضب:

إن الناظر إلى غريزة الغضب يجد أنها تنقسم إلى قسمين وهذا التقسيم تقسيم عقلي لا استقرائي:

1) غريزة الغضب المذموم، والمراد به كل غضب ليس لله تعالى ولا يراد به وجهه ﷻ وهذا النوع ليس محمودًا وذلك، لأنه يخرج العقل والدين عن سياستهما، فلا يبقى للإنسان مع ذلك نظر ولا فكر ولا اختيار".[2]

2) غريزة الغضب المحمود، والمراد به كل غضب لله تعالى يراد به وجه الله والدار الآخرة وبالتالي يراد به نصرة الدين والحفاظ على أركانه. ومن يتتبع آيات الذكر الحكيم يجد أنه قد ذكر غريزة الغضب عند عامة الناس ومنهم الأنبياء والمرسلين للدلالة على بشريتهم وإنسانيتهم.

الحنبلي (المتوفى: 795هـ) تحقيق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1424هـ-2004م، (1/ 410).

(1) مُخْتصَرُ مِنْهَاجِ القَاصِدِينْ، المؤلف: نجم الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي (المتوفى: 689هـ) قدم له: الأستاذ محمد أحمد دهمان، الناشر: مكتَبَةُ دَارِ البَيَانْ، دمشق، عام النشر: 1398هـ-1978م، ص179.

(2) المصدر السابق، ص179.

قال الكلاباذي في قوله تعالى حكاية عن موسى في قول الله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾[1]، فكانت تلك الحدة منه والغضب فيه صفة مدح له لأنها كانت لله، وفي الله كما كانت رأفة النبي ﷺورحمته في الله ولله، ثم كان يغضب حتى يحمر وجهه وتذر عروقه لله وفي الله، وبذلك وصف الله تعالى المؤمنين بقوله: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[2]، فلو كانت الغلظة والشدة في الله ولله كذلك الغضب والحدة من موسى لله وفي الله، والجميع صفة مدح ونعت ثناء.[3]

وقال **الباجي الأندلسي** -رحمه الله-: "وأما فيما يعاد إلى القيام بالحق فالغضب فيه قد يكون واجبًا وهو الغضب على الكفار والمبالغة فيهم بالجهاد وكذلك الغضب على أهل الباطل وإنكاره عليهم بما يجوز، وقد يكون مندوبًا إليه، وهو الغضب على المخطئ إذا علمت أن في إبداء غضبك عليه ردعًا له وباعثًا على الحق، وقد روى زيد بن خالد الجهني أن رسول الله ﷺ لما سأله رجل عن ضالة الإبل... وقال مالك ولها وغضب رسول الله ﷺ لما شكا إليه رجل معاذ بن جبل أنه يطول بهم في الصلاة".[4]

---

(1) سورة طه الآيتان: 92، 93.

(2) سورة الفتح من الآية / 29.

(3) بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، المؤلف: أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (المتوفى: 380هـ) المحقق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل - أحمد فريد المزيدي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، 1420هـ-1999م، ص356.

(4) المنتقى شرح الموطأ، المؤلف: أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (المتوفى: 474هـ) الناشر: مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، الطبعة: الأولى، 1332هـ، (ثم صورتها دار الكتاب الإسلامي، القاهرة - الطبعة: الثانية، بدون تاريخ) (7/ 214).

ومن هنا فإن الغضب المذموم يؤدي الإنسان إلى اشتعال النار في فكره الذي هو معدن التأييد، وبالتالي فإنه له آثار ذكرها أصحاب العلم في جل كتبهم ومؤلفاتهم العظيمة، فهذا ابن حجر العسقلاني يقول: "ومهما اشتدت نار الغضب واشتعلت أعمت صاحبه وأصمّته عن كل موعظة، بل لا تزيده الموعظة إلا اشتعالًا لانطفاء نور عقله ومحوه حالًا بدخان الغضب الصاعد إلى الدماغ الذي هو معدن الفكر وبما يتعدى إلى معادن الحس؛ فيظلم بصره حتى لا يرى شيئًا إلا سوادًا، بل ربما زاد اشتعال ناره حتى تفنى رطوبة القلب التي بها حياته فيموت صاحبه غيظًا".[1]

كما يحدثنا الراغب الأصفهاني عن آثار الغضب فيقول "واعلم أن نار الغضب متى كانت عنيفة تأججت واضطربت واحتدّ منه غليان الدم في القلب وملأت الشرايين والدماغ دخانًا مظلمًا مضطرمًا يسودُ منه مجال العقل ويضعف به فعله، فكما أن الكهف الضيق إذا مُلِئَ حريقًا اختنق فيه الدخان واللهب، وعلا منه الأجيج، فيصعب علاجه وإطفاؤه ويصير كل ما يدنو منه مادة تقوّيه.

فكذلك النفس إذا اشتعلت غضبًا عميت عن الرشد، وصمّت عن الموعظة، فتصير مواعظه مادة لغضبه، ولهذا حكي عن إبليس لعنه اللَّه أنه يقول: متى أعجزني ابن آدم فلن يعجزني إذا غضب، لأنه ينقاد لي فيما أبتغيه منه، ويعمل بما أريده وأرتضيه. وقد قيل: الغضب جنون ساعة، وربما أفضى إلى تلف باختناق حرارة القلب فيه، وربما كان سببًا لأمراض صعبة مؤدية إلى التلف".[2]

---

(1) الزواجر عن اقتراف الكبائر (1/ 96).

(2) الذريعة إلى مكارم الشريعة، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: 502هـ) تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار النشر: دار السلام - القاهرة عام النشر: 1428هـ-2007م، ص243.

كما أن من آثار هذا الغضب المذموم ما يعتري جسد الإنسان ولون جلده من تغيرات فيزيولوجية "من تغير اللون، وشدة رعدة الأطراف، وخروج الأفعال عن الانتظام، واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الأشداق وتشتد حمرة الأحداق وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة، ولو يرى الغضبان في حال غضبه صورة نفسه لسكن غضبه حياء من قبح صورته لاستحالة خلقته، وقبح باطنه أعظم من قبح ظاهره، فإن الظاهر عنوان الباطن إذ قبح ذاك إنما نشأ عن قبح هذا فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن هذا أثره في الجسد.[1]

ثم يواصل ابن حجر ما ذكره عن آثار الغضب المذموم فيقول: "وأما أثره في اللسان؛ فانطلاقه بالقبائح كالشتم والفحش وغيرهما مما يستحي منه ذوو العقول مطلقًا، وقائله عند فتور غضبه على أنه لا ينتظم كلامه، بل يتخبط نظمه ويضطرب لفظه".[2]

كما يقول ابن مسكويه في كتابه (تهذيب الأخلاق) عن غريزة الغضب المذموم وما يعتريها من آثار سلبية تعود على صاحبها بالضرر على صاحبها ومن ثم فإن "صاحب هذا الخلق الذي ذممناه تصدر عنه أفعال رديئة كثيرة يجور فيها على نفسه ثم على إخوانه ثم على الأقرب فالأقرب من معامليه حتى ينتهي إلى عبيده وإلى حرمه فيكون عليهم سوط عذاب ولا يقيلهم عثرة ولا يرحم لهم عبرة وإن كانوا براء من الذنوب غير مجترمين ولا مكتسبين سواء بل يتجرم عليهم ويهيج من أدنى سبب يجد به طريقًا إليهم حتى يبسط لسانه ويده وهم لا يمتنعون منه ولا يتجاسرون على رده عن أنفسهم بل يذعنون له ويقرّون بذنوب

(1) الزواجر عن اقتراف الكبائر (1/ 96).

(2) الزواجر عن اقتراف الكبائر (1/ 96).

لم يقترفوها استكفافًا لشره وتسكينًا لغضبه وهو مع ذلك مستمر على طريقته لا يكف يدًا ولا لسانًا وربما تجاوز في هذه المعاملة الناس إلى البهائم التي لا تعقل وإلى الأواني التي لا تحس. فإن صاحب هذا الخلق الرديء ربما قام إلى الحمار والعصفور فيتناولها بالضرر والمكروه وربما عض القفل إذا تعسر عليه وكسر الآنية التي لا يجد فيها طاعة لأمره. وهذا النوع من رداءة الخلق مشهور في كثير من الجهال يستعملونه في الثوب والزجاج والحديد وسائر الآلات".[1]

أسباب الغضب غير المحمود:

هناك عدة أسباب لغريزة الغضب غير المحمود وهي كثيرة من أن تحصى ولكن نذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

1) العجب، والافتخار ومضارهما:

من المعلوم أن العجب والافتخار لهما مضار عظيمة وهما من أسباب هلاك الإنسان في جميع العصور والأزمان، ومن الجدير بالذكر أن "المراء، واللجاج، والمزاح، والتيه، والضيم، والاستهزاء، وطلب ما فيه التنافس، والتحاسد، وشهوة الانتقام، وكلها من أسباب الغضب المذموم.[2]

2) شدة الحرص على فضول المال والجاه:

كما يقول ابن قدامة "والمضادة، والغدر، وشدة الحرص على فضول المال والجاه، وهذه أخلاق رديئة مذمومة شرعًا".[3]

---

(1) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، المؤلف: أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (المتوفى: 421هـ) حققه وشرح غريبه: ابن الخطيب، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة: الأولى، ص212.

(2) الذريعة إلى مكارم الشريعة، للراغب الأصفهاني، ص346.

(3) مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة، ص233.

3) تسمية الغضب بغير اسمه:

وفي ذلك يقول الإمام الغزالي في كتابه الإحياء "ومن أشد البواعث على الغضب عند أكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبر همة وتلقيبه بالألقاب المحمودة غباوة وجهلًا حتى تميل النفس إليه وتستحسنه وقد يتأكد ذلك بحكاية شدة الغضب عن الأكابر في معرض المدح بالشجاعة والنفوس مائلة إلى التشبه بالأكابر فيهيج الغضب إلى القلب بسببه وتسمية هذا عزة نفس وشجاعة جهل بل هو مرض قلب ونقصان عقل وهو لضعف النفس ونقصانها".[1]

(1) إحياء علوم الدين، للغزالي (3/ 172).

المبحث الثامن

معاول الهدم في غريزة العُجْب وإساءة استعمالها

مما لا مجال فيه للشك أن العجب غريزة مذمومة نهى عنها الإسلام وذلك لأنها أصل للشرور الكثيرة التي تتولد عنها ومن ثم فهي ذات حدين:

معنى العجب لغة واصطلاحًا:

أولًا: في اللغة: فقد جاء في لسان العرب أن "العجْب بالضم: الزَّهْوُ والكِبْرُ، ورَجُلٌ مُعْجَبٌ: مَزْهُوٌّ بِمَا يكُونُ مِنْهُ حَسَنًا أَو قَبِيحًا. وقيل: المُعْجَبُ، الإِنْسَانُ المعْجَب بِنَفْسِه أَوْ بِالشَّيْءِ. وقد أُعْجِبَ فُلَانٌ بِنَفْسِه فَهو مُعْجَبٌ بِرَأْيِهِ وبِنَفْسِه. والاسْمُ العُجْبُ، وَقِيلَ: العُجْبُ: فَضْلَةٌ من الحُمْقِ صَرَفْتَهَا إِلَى العُجْب".[1]

ثانيًا: معناه في الاصطلاح: عرفه الجرجاني صاحب كتاب التعريفات بقوله: "هو عبارة عن تصور استحقاق الشخص رتبة لا يكون مستحقًا لها. أو هو تغير النفس بما خفي سببه وخرج عن العادة مثله."[2] كما عرفه حجة الإسلام بقوله: "هو استعظام النعمة والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى المنعم".[3]

---

(1) لسان العرب (1/ 582).

(2) التعريفات، للجرجاني، ص147.

(3) إحياء علوم الدين، (3/ 371).

ذم العجب والنهي عنه في القرآن:

من يدقق النظر في كتاب الله تعالى يجد أنه قد تناول هذه القضية في أكثر من موضع للدلالة على خطره، ومن ثم فيجب الابتعاد عنه بكل الطرق وبكل المقاييس، وكيف لا؟ وقد نهى عنه الخالق جل وعلا، وأيضًا السنة المطهرة قد حرمته؛ لأنه أصل الشرور كلها، وكل ما عداه فهو تابع له. وقد جاء النهي عنه في قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾.[1] وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾.[2]

والمعنى المراد من الآية الكريمة أي: فخرًا واختيالًا، أو بَطَرًا وتعاليًا؛ لأن الذي يفخر بشيء ويختال به، ويظن أنه أفضل من غيره، يجب أن يضمن لنفسه بقاء مَا افتخر به، بمعنى أن يكون ذاتيًا فيه، لا يذهب عنه ولا يفارقه، لكن من حكمة الله سبحانه أنْ جعل كل ما يمكن أن يفتخر به الإنسان هِبةً له، وليست أصيلة فيه. كل أمور الإنسان بداية من إيجاده من عدم إلى الإمداد من عدم هي هبة يمكن أنْ تسترد في يوم من الأيام، وكيف الحال إذا تكبَّرْتَ بمالك، ثم رآك الناس فقيرًا، أو تعاليت بقوتك ثم رآك الناس عليلًا؟ إذن: فالتواضع والأدب أليَقُ بك، والتكبُّر والتعالي لا يكون إلا للخالق ﷻ، فكيف تنازعه سبحانه صفة من صفاته؟ وقد نهانا الحق سبحانه عن ذلك؛ لأنه لا يستحق هذه الصفة إلا هو ﷻ، وكَوْنُ الكبرياء لله تعالى يعصمنا من الانصياع للكبرياء الكاذب من غيرنا".[3]

---

(1) سورة التوبة آية: 25.

(2) سورة الإسراء، الآيتان: 37، 38.

(3) تفسير الشعراوي (14/ 8546).

قال مطرف رحمه الله: واعلم: أن العجب يدعو إلى الكبر، لأنه أحد أسبابه، فيتولد من العجب الكبر، ومن الكبر الآفات الكثيرة، وهذا مع الخلق. فأما مع الخالق، فإن العجب بالطاعات نتيجة استعظامها، فكأنه يمن على الله تعالى بفعلها، وينسى نعمته عليه بتوفيقه لها، ويعمى عن آفاتها المفسدة لها. وإنما يتفقد آفات الأعمال من خاف ردها دون من رضيها وأعجب بها. والعجب إنما يكون بوصف كمال من علم أو عمل، فإن انضاف إلى ذلك أن يرى حقًا له عند الله إدلالًا، فالعجب، يحصل باستعظام ما عجب به، والإدلال يوجب توقع الجزاء، مثل أن يتوقع إجابة دعائه وينكر رده.[1]

ذم العجب والنهي عنه في السنة:

ومن السنة قول الرسول : ((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ مُرَجِّلٌ جَمَّتَهُ إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ))[2]، وعن عبد الله بن عمر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺيقول: ((مَا مِنْ رَجُلٍ يَتَعَاظَمُ فِي نَفْسِهِ وَيَخْتَالُ فِي مِشْيَتِهِ إِلَّا لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ)).[3] وفي هذا الحديث النبوي إشارة إلى النهي

(1) مُخْتَصَرُ مِنْهَاجِ القَاصِدِينْ، المؤلف: نجم الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي (المتوفى: 689هـ) قدم له: الأستاذ محمد أحمد دهمان، الناشر: مكتَبَةُ دَارِ البَيَانْ، دمشق، عام النشر: 1398هـ-1978م، ص234.

(2) رواه البخاري (5789)، ومسلم (2088).

(3) رواه أحمد (2/ 118) (5995)، والحاكم (1/ 128) (201)، والبخاري في ((الأدب المفرد)) (549). قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي. وقال المنذري في ((الترغيب والترهيب)) (3/ 357): رواته محتج بهم في الصحيح. وصحح إسناده البوصيري في ((إتحاف الخيرة المهرة)) (7/ 373).

عن العجب وما يتولد عنه من الكبر وغيره من الرذائل التي نهى عنها الشارع الحكيم، وقد علق الإمام المناوي في كتابه (فيض القدير شرح الجامع الصغير) على شرح هذا الحديث فقال: "مَا من رجل أَي إنسان وَلَو أُنْثَى (يتعاظم فِي نَفسه يختال فِي مَشْيه) فِي غير الْحَرْب (إلا لقي الله تَعَالَى) يَوْم الْقِيَامَة أَو بِالْمَوْتِ (وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَان)؛ لأنه لَا يحب المستكبرين، وَمَا لِابْنِ آدم وللتعاظم وإنما أَوله نُطْفَة مذرة وَآخره جيفة قذرة وَهُوَ فِيمَا بَين ذَلِك يحمل الْعذرَة وَقد خلق فِي غَايَة الضعْف تستولي عَلَيْهِ الأمراض والعلل وتتضاهى فِيهِ الطبائع فيهدم بَعْضهَا بَعْضًا فيمرض كرهًا وَيُرِيد أن يعلم الشيء فيجهله وأن ينسى الشيء فيذكره وَيكرهُ الشيء فينفعه ويشتهي الشيء فيضره معرضًا للآفات فِي كل وَقت ثمَّ آخِره الْمَوْت وَالْعرض لِلْحسابِ وَالْعِقَاب فإن كَانَ من أهل النَّار فالخنزير خير مِنْهُ فَمن أَيْن يَلِيق بِهِ التعاظم وَهُوَ عبد مَمْلُوك لَا يقدر على شيء"[1] ومن هنا فإن لغريزة العجب آثار سلبية على سلوك الإنسان خاصة وأنه أساس للكبر والكذب والنفاق وغير ذلك من أمراض القلوب.

آثار غريزة العجب في المنظور الإسلامي:

وللعجب آثار وخيمة تعود على صاحبها بالنكال في الدنيا والخزي والخذلان في الآخرة ولا شك أنها أساس لما عداها من جميع الأمراض والأخلاق السيئة والصفات الرديئة التي نهى الشرع الحنيف عنها، فقد جاء في كتاب (غذاء الألباب شرح منظومة الآداب) للإمام السفاريني الحنبلي، المتوفى سنة (1188هـ) قول الإمَامُ الْحَافِظُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ "اعلم

(1) فيض القدير شرح الجامع الصغير، (2/ 362).

أن من أسباب الكبر العجب، فإن من أعجب بشيء تكبر به".[1] ومن هنا يتبين لنا أن العجب أساس لمرض الكبر.

وجاء أيضًا في كتاب (مقاصد الرعاية لحقوق الله عز وجل) للإمام المحاسبي الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: 1188هـ) قوله عن العجب: "فإنه معم لأكْثر الذُّنُوب والعيوب مُوجب لاستعظام الطَّاعَات والإدلال بهَا على رب السَّمَاوَات مفض إِلَى الْعِزَّة وَالْكبر والتعظيم على الْعباد حَتَّى يصير المعجب كَأَن لَهُ منَّة على الله تَعَالَى لاستعظامه أَعماله وَكَذَلِكَ يمن على عباد الله بِمَا يسديه إِلَيْهِم من معروفه وإحسانه فِي زَعمه فَمَا أجدره بِأَن يحبط الله عمله بإعجابه ويكله ربه إلى نَفسه"[2]، وقال أيضًا في موضع آخر عن العجب وآثاره وما يؤدي إليه "وَقد يُؤَدِّي الْعجب إِلَى الإدلال على الله تَعَالَى، والإدلال أَن يرى العَبْد أَن لَهُ عِنْد الله ﷻ قدرًا عَظِيمًا قد اسْتَحَقَّه وَاسْتحق الثَّوَاب عَلَيْهِ مَعَ الْأَمْن من عِقَاب الله تَعَالَى وَلَيْسَ رَجَاء الْمَغْفِرَة مَعَ الْخَوْف إدلالًا".[3]

ويقول أبو الحسن الماوردي (المتوفى سنة 450هـ) في كتابه (أدب الدنيا والدين) "وأما الإعجاب فيخفي المحاسن ويظهر المساوئ ويكسب

(1) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، المؤلف: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: 1188هـ) الناشر: مؤسسة قرطبة – مصر، الطبعة: الثانية، 1414هـ / 1993م(223/2).

(2) مقاصد الرعاية لحقوق الله عز وجل أو مختصر رعاية المحاسبي، المؤلف: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: 660هـ) المحقق: إياد خالد الطباع، الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة: الأولى، 1416هـ-1995م، ص130.

(3) المصدر السابق، ص132.

المذام ويصدّ عن الفضائل.[1]

ومن هنا فقد تبين لنا أن للعجب آثار مدمرة للنفس البشرية ومن أهم آثاره أن يصبح للعبد في نفسه عند ربه قدرًا وهذا أبشع ألوان العجب، في أن يكون للعبد قدرًا عظيمًا يستحق عليه الثواب من الخالق، ومع ذلك فإن العبد يأمن من عقاب الله تعالى وليس بداخله نوعي (الرجاء والخوف) اللذين هما من شعار أهل القرب عند الله تعالى، وعليه يجب على العبد أن يضبط تلك الغريزة الشيطانية الخبيثة التي تأوي بالإنسان في مدارك جهنم.

وخلاصة القول: أن الإنسان المعجب بنفسه وعمله يجب عليه أن يعلم "أن جهله بنفسه وصفاتها وآفاتها وعيوب عمله، وجهله بربه وحقوقه وما ينبغي أن يعامل به، يتولد منهما رضاه بطاعته، وإحسان ظنه بها، ويتولد من ذلك من العجب والكبر والآفات ما هو أكبر من الكبائر الظاهرة من الزنا، وشرب الخمر، والفرار من الزحف ونحوها".[2]

معاول الهدم في غريزة العجب:

هناك صور عديدة لهدم غريزة العجب، وهذه الصورة ما هي إلا إشارة للإنسان أن يتخلى عنه وعن صوره البشعة التي تحط من قدر الإنسان في الدنيا، ولذلك يقول ابن المقفع (المتوفى: 142هـ): "العجب آفة

(1) أدب الدنيا والدين، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ) الناشر: دار مكتبة الحياة، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: 1986م، ص237.

(2) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، 1416هـ - 1996م (1/ 192).

العقل، واللجاجة قعود الهوى، والبخل لقاح الحرص، والمراء فساد اللسان، والحمية سبب الجهل، والأنفة توءم السفه، والمنافسة أخت العداوة".[1] وصدق القائل حيث قال: "ما أسلب العجب للمحاسن. العجب أكذب، ومعرفة الرجل نفسه أصوب. ثمرة العجب المقت".[2] ومن هنا تظهر عوامل الهدم في غريزة العجب وذلك في النقاط التالية:

1) **المدح والثناء والإطراء في الوجه**، وهذا من أخطر الأمور وذلك؛ لأن المعجب بنفسه يحب الرياء والمفاخرة وفي نفسه أنه لا يوجد على الأرض أحد مثله جاء في فتح الباري لابن حجر قول ابن بطال "حاصل النهي أن من أفرط في مدح آخر بما ليس فيه لم يأمن على الممدوح العجب لظنه أنه بتلك المنزلة فربما ضيع العمل والازدياد من الخير اتكالًا على ما وصف به".[3]

2) **الاغترار بالنعمة والركون إليها مع نسيان ذكر المنعم** وجاء الاغترار بالنعمة وجحدها في قول الله تعالى: ﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**﴾.[4] والمعنى أن الله جلّ جلاله "جعل القرية التي هذه حالها مثلًا لكل قوم أنعم الله عليهم بالنعم فأبطرتهم النعمة وكفروا وتولوا، فأنزل الله عليهم نقمته، وبدل نعمتهم سوءً وسرورهم ألمًا

(1) الأدب الصغير، المؤلف: عبد الله بن المقفع (المتوفى: 142هـ) قَرَأَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ: وائلُ بْنُ حَافِظِ بْنِ خَلَفٍ، الناشر: دار ابن القيم بالإسكندرية، ص45.

(2) التمثيل والمحاضرة، المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: 429هـ) المحقق: عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: الدار العربية للكتاب، الطبعة: الثانية، 1401هـ-1981م، ص444.

(3) فتح الباري، ابن حجر (10/ 477).

(4) سورة النحل آية: 112.

وحزنًا، وقد ضربها الله مثلًا لكل قرية خصوصًا مكة. وانظروا إلى وصف الله أهل القرية بالأمن والطمأنينة فلا يزعجهم خوف، ولا قلق ثم بالرزق الرغد الواسع الكثير، ومع هذا قدم نعمة الأمن على نعمة الرزق لعل الناس يعتبرون بهذا، وأن السيادة في الهدوء والطمأنينة، هذه القرية التي غمرها الله بفيض من عنده، ولكنها لما كفرت بأنعم الله ولم تقابل النعمة بالشكر بل قابلتها بالكفر أذاقها الله عاقبة عملها ذوقًا عميقًا يشبه تذوقهم طعم المر أو أشد.[1]

3)**الاختيال والتبختر في المشي.** وجاء ذلك الوصف في قول الله تعالى: ﴿**وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾[2] والمعنى أن "الإنسان عادة لا يتكبر إلا إذا شعر في نفسه بميزة عن الآخرين، بدليل أنه إذا رأى مَنْ هو أعلى منه انكسر وتواضع وقوَّم من صغره، ومثَّلنا لذلك بـ(فتوة) الحارة الذي يجلس على القهوة مثلًا واضعًا قدمًا على قدم، غير مُبَال بأحد، فإذا دخل عليه (فتوة) آخر أقوى منه تلقائيًا يعتدل في جلسته.[3]

4) **المباهاة بالعلم والتفاخر به وجعله وسيلة للمماراة والجدل.** ومعنى ذلك أن الإنسان المعجب يتباهى بالعلم والرفعة ويجعله وسيلة للجدل الممقوت، يحدثنا القرآن الكريم عما كان يفعله فرعون مع قومه من التعالي والتفاخر الممقوتين في أكثر من موضع من هذه المواضع قول الله تعالى: ﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا**

(1) التفسير الواضح، المؤلف: الحجازي، محمد محمود، الناشر: دار الجيل الجديد – بيروت، الطبعة: العاشرة - 1413هـ(2/ 342).

(2) سورة لقمان آية: 18.

(3) تفسير الشعراوي (19/ 11672).

هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾[1]

وجاء النهي عن هذا الإعجاب والتعالي والتفاخر في الحديث الذي رواه عبد الله بن مسعود - ﷺ - عن النبي - ﷺ-، قَالَ: ((لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّة مِنْ كِبْرٍ! فَقَالَ رَجُلٌ: إنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أنْ يكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، ونَعْلُهُ حَسَنَةً؟ قَالَ: إنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ، الكِبْرُ: بَطَرُ الحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ"[2] يقول الإمام النووي عند شرحه لهذا الحديث: "(قد اختلف في تأويله. فذكر الخطابي فيه وجهين:

أحدهما: أن المراد التكبر عن الإيمان فصاحبه لا يدخل الجنة أصلًا إذا مات عليه. والثاني: أنه لا يكون في قلبه كبر حال دخوله الجنة، كما قال الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾[3]، وهذان التأويلان فيهما بعد فإن هذا الحديث ورد في سياق النهي عن الكبر المعروف وهو الارتفاع على الناس، واحتقارهم، ودفع الحق، فلا ينبغي أن يحمل على هذين التأويلين المخرجين له عن المطلوب. بل الظاهر ما اختاره القاضي عياض وغيره من المحققين أنه لا يدخل الجنة دون مجازاة إن جازاه. وقيل: هذا جزاؤه لو جازاه، وقد يتكرم بأنه لا يجازيه، بل لا بد أن يدخل كل الموحدين الجنة إما أولًا، وإما ثانيًا بعد تعذيب بعض أصحاب الكبائر الذين ماتوا مصرين عليها. وقيل: لا يدخل مع المتقين أول وهلة".[4]

(1) سورة القصص الآيات: 38-40.

(2) رواه مسلم، ص91.

(3) سورة الأعراف من الآية: 43.

(4) شرح النووي على مسلم، (2/ 91).

وجاء النهي أيضًا عن التعالي والعجب، في الحديث الذي رواه، سَلَمةَ بنِ الأكْوَعِ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رسول الله -ﷺ-: ((لاَ يَزَالُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ حَتَّى يُكْتَبَ في الجبَّارِين، فَيُصيبَهُ مَا أصَابَهُمْ)).[1]

جاء في كتاب (تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي) للمباركفوري أن الباء للتعدية، أي يعلي نفسه ويرفعها ويبعدها عن الناس في المرتبة ويعتقدها عظيمة القدر، أو للمصاحبة أي يرافق نفسه في ذهابها إلى الكبر ويعززها ويكرمها كما يكرم الخليل الخليل حتى تصير متكبرة.[2]

5) **عدم مجالسة الفقراء والمحتاجين والتعالي عليهم وعدم المساواة بينهما في مجالس العلم والفقه**، ولقد عرض القرآن الكريم ذلك الأمر حينما طلب كفار مكة من رسول الله ﷺ طرد فقراء المسلمين وعدم الجلوس معهم وهذا يدل على تعنتهم وتكبرهم وتعاليهم على هؤلاء الفقراء. قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾. [3]

لشدة حرصه ﷺ على هداية القوم أجمعين، كان يحب أن يعامل الطغاة بشيء من اللين لتتألف قلوبهم. ولكن الطغاة لا يريدون أن يتساووا مع المستضعفين، فقد مرّ الملأ من قريش ووجدوا عند رسول الله ﷺ خبّاب بن الأرتّ وصهيبًا وبلالًا وعمارًا وسلمان الفارسي وهم من

(1) رواه الترمذي (2000)، والروياني في ((مسنده)) (2/ 258)، وحسنه الترمذي، وضعفه الألباني في ((ضعيف الترغيب)) (1744).

(2) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (المتوفى: 1353هـ) الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت، ص117.

(3) سورة الأنعام آية: 52.

المستضعفين، فقالوا: يا محمد رضيت بهؤلاء من قومك؟ أهؤلاء الذين منَّ الله عليهم من بيننا؟ أنحن نصير تبعا لهؤلاء؟ اطردهم فلعلك إن طردتهم أن نتبعك. وكأنهم يقولون له: إنك قد اكتفيت بهؤلاء الضعفاء وتركتنا نحن الأقوياء ولن نجلس معك إلا أن تبعد هؤلاء عنك لنجلس".[1]

(1) تفسير الشعراوي (6/ 3648).

المبحث التاسع

نظرة الإسلام إلى الغرائز والدوافع الإنسانية

مما لا مجال فيه للشك أن الإسلام عالج الغرائز الإنسانية علاجًا قويًّا وذلك في توجيهاته السليمة ونصائحه ومواعظه لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وفيمايلي سوف نكشف النقاب عن كيفية معالجة الإسلام لتلك الغرائز الإنسانية في إطار أخلاقي، من خلال عدة نقاط:

1) التوجيه الإلهي في ضبط غريزتي الطعام والشراب.
2) التوجيهات العلاجية في ضبط غريزة حب المال.
3) التوجيهات العلاجية في ضبط غريزة الشهوات والميول الجنسية.
4) التوجيهات العلاجية في ضبط غريزة الغضب.

1) التوجيه الإلهي في ضبط غريزتي الطعام والشراب

هناك عدة توجيهات فرضها الإسلام على أتباعه من خلالها يعيش المرء في صحة وعافية وذلك عندما يضبط نفسه ودوافعه عن البعد عن كل ما يكون سببًا في عدم سعادته في الدنيا وفي الآخرة.

التوازن في ضبط شهوتي الطعام والشراب:

لقد عالج الإسلام هذه الغريزة من منظور قرآني بحت، حيث قال الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[1]. ففي هذا البيان القرآني توجيه من الله تعالى لعباده إلى عملية التوازن في الطعام والشراب لاسيما في حياتهم اليومية، ومن هنا فعملية التوازن في المأكل والمشرب من الأمور المهمة في صلاح بدن الإنسان وذلك عن طريق التأثير القوي لعملية الصيام الإسلامي.

تأثير الصيام الإسلامي على وزن الجسم:

من المعلوم أن الصيام يؤدي إلى التوازن في جسم الإنسان ومن ثم فإنه ينبغي على الإنسان أن يحافظ على توازن جسمه من وقت لآخر، وذلك عن طريق الصيام الذي شرعه الله تعالى لعباده الأصحاء القادرين عليه، وهناك "دراسة قام بها فيدايل وزملاؤه على 28 شخصًا صحيحًا صاموا شهر رمضان، أثبت أن هناك نقصًا في وزن جسم كل صائم منهم، وعلى العموم فإن هذه الدراسات تثبت التوازن الذي يحدثه الصيام الإسلامي في عمليتي البناء والهدم، وأن القدر الضئيل الذي قد يفقده الحسم، ربما يكون ضروريًا ولازمًا لحفظ الصحة، ولابد من توجيه

(1) سورة الأعراف آية: 31.

الأبحاث وإجرائها على أجسام مرضى السمنة، حتى نرى أثر الصيام المباشر على مثل هذه الأوزان الزائدة، وقد طالب بذلك الأستاذ الدكتور رياض سليماني، في بحثه "حقائق صيام رمضان في الصحة والمرض".[1]

ومن هنا فالجوع الذي يأتي عن طريق الصوم الصحيح من طلوع الفجر إلى غروب الشمس يجعل الصحة الإنسانية في أحسن حال وذلك لأنه وقاية وعلاج من أمراض كثيرة، فبعض الأمراض المستعصية قد يكون علاجها في الصوم؛ كالتهاب المعدة الحاد، وإقياء الحمل العنيد، وبعض أنواع داء السكري، وارتفاع التوتر الشرياني، والقصور الكلوي الحابس للملح، وخناق الصدر، والالتهابات الهضمية المزمنة، وحصيات المرارة، وبعض الأمراض الجلدية".[2] كما أنه يعالج كثيرًا من الأمراض المزمنة كأمراض السكر والضغط والسمنة المفرطة والجهاز الهضمي وغير ذلك من الأمراض المزمنة.

تأثير الصيام على قرحة المعدة:

من المعروف أن المعدة بيت الداء، وبالتالي فقد أجرى الباحثون دراسة كان الهدف منها التعرف على تأثير صيام شهر رمضان على حموضة المعدة "زيادة الحموضة وقلتها"، وقد وجدوا أن الحموضة في المعدة اعتدلت عند كل المرضى الذين يعانون من قلة الحموضة أو زيادتها

(1) نداء الريان في فقه الصوم وفضل رمضان، المؤلف: أبو التراب سيد بن حسين بن عبد الله العفاني، قدم له: أبو بكر الجزائري - محمد صفوت نور الدين - محمد عبد المقصود، توزيع: دار ماجد عسيري – جدة (2/ 297).

(2) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، المؤلف: محمد راتب النابلسي، الناشر: دار المكتبي - سورية - دمشق - الحلبوني - جادة ابن سينا.، الطبعة: الثانية 1426هـ-2005م، ص74.

مما يؤكد أن صيام شهر رمضان يخفف ويمنع حدوث الحموضة الزائدة، والتي تكون سببًا رئيسيًّا في حدوث قرحة المعدة."[1]

التوازن النتروجيني في الجسم:

ويعني به: التوازن الذي يعطي لجسم الإنسان الاعتدال الذي يعد مطلبًا من مطالب الجسم "وهذه الحقائق تجعل الصيام الإسلامي متفردًا في يسره وسهولته، حتى إن بعض العلماء لم يعد فترة ما بعد الامتصاص، أو الفترة المبكرة من توقف الغذاء، من مراحل التجويع. أما في المرحلة الثانية (التجويع المتوسط): فتتنبه أكثر عملية تصنيع الجلوكوز الجديد، وتحدث عملية الأكسدة للدهون بصورة أكبر من المرحلة الأولى، وتنتج الأجسام الكيتونية لإمداد عدد من الأنسجة بالطاقة اللازمة، فمثلًا يستهلك المخ من الطاقة من -هذه الأجسام- حوالي من 10-20% من احتياجاته، والجلوكوز المنتج في هذه المرحلة، ضعف المنتج منه في المرحلة السابقة أو ثلاثة أضعافه، وفي هذه الفترة يرتفع معدل تحلل البروتين، وينتج توازن نتروجيني سلبي، يفرز فيه النتروجين، كما يأخذ الكبد كميات متزايدة من الأحماض الدهنية الحرة، ويتأكسد جزء كبير منها، وهذا يؤدي إلى تولد مزيد من الأجسام الكيتونية".[2]

الصيام وآلية الهضم:

من المعروف أن المحافظة على غريزتي الطعام والشراب عن طريق الصيام الإسلامي يخفف عن الجهاز الهضمي الأعباء الكثيرة التي تعتريه

---

(1) نداء الريان في فقه الصوم وفضل رمضان، المؤلف: أبو التراب سيد بن حسين بن عبد الله العفاني (297/2).

(2) المصدر السابق (318/2).

طوال العام ومن ثم فقد "قال بعض العلماء المتخصصين في التغذية: "ليس علم الإنسان بوظائف الطعام هو الذي يدفعه إلى تناول الطعام، ولكن الإحساس بالجوع الضاغط، وشهوة الطعام الباعثة هما اللذان يحركان الإنسان إلى الطعام، أما حاسة الجوع فتدعو الإنسان على ما يسد حاجته من الطعام ليبقى حيًا، وأما شهوة الطعام الباعثة فهي وسيلة، وليست غاية"[1]، ومن هنا فإن ضبط غريزة الطعام والشراب من أهم الأمور التي ينبغي على الإنسان مراعاتها لاسيما في هذه الأيام التي أصبح فيها جميع الفواكه والخضروات وغيرهما من مستلزمات الطعام لا تأتي إلا عن طريق الهرمونات المسرطنة، وعليه "فإن كثرة الطعام، وإدخال الطعام على الطعام، وإكثار الوجبات؛ هذه تصيب الإنسان بالكسل، والخمول، والركود، والأمعاء بالتعفن، والقلب بالإرهاق"[2] وعليه "فالتوازن في إنتاج جلوكوز الدم وتحول الجليوكوجين إليه، وبالعكس أثناء الصيام الإسلامي عنه في التجويع، وكل هذا يؤكد تفوق الصيام الإسلامي على الصيام الطبي، مع تحقيقه لكل فوائده، حيث يشتركان معًا في تنشيط عمليات الهدم، وتخليص الجسم من الأنسجة المريضة، والفضلات السامة.[3]

إن الفترة الزمنية التي وقتها الله سبحانه وتعالى من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، هي فترة زمنية كافية، لتنشيط كافة العمليات الحيوية داخل الجسم البشري، وإن في الزيادة عليها جهد ومشقة وحرج، ولا يجني منها ثمرة حقيقية، لذلك نهى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عن

(1)موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، المؤلف: محمد راتب النابلسي (76/1).

(2)موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، المؤلف: محمد راتب النابلسي (76/1).

(3) نداء الريان في فقه الصوم وفضل رمضان، أبو التراب سيد بن حسين بن عبد الله العفاني (320/2)

الوصال في الصوم، وهو: التجويع المطلق الذي لا يتناول فيه المرء طعامًا وشرابًا لأكثر من يوم؛ لأنه لن يحقق فائدة زائدة، بل سيحطم الأنسجة لحفظ توازن الطاقة في الجسم، وقد يتشمع الكبد، وتضطرب وظائفه، وترتفع الأجسام الكيتونية، فتحدث حموضة الدم الخطرة.[1]

(1) المصدر السابق (320/2).

2) التوجيهات العلاجية في ضبط غريزة حب المال

هناك عدة توجيهات لحفظ غريزة المال، وذلك عندما يستخدمه الإنسان استخدامًا صحيحًا وفق المنهج الإلهي وفيما يلي نكشف النقاب عن الطريقة المثلى لضبط غريزة المال:

أولًا: الترغيب والحث على الجود والكرم والسخاء:

لقد حفل القرآن الكريم بالآيات البينات التي تتلى آناء الليل والنهار إلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها بالترغيب في حفظ غريزة حب المال وذلك بالإنفاق منه آناء الليل سرًّا وعلانية ومن الآيات الدالة على هذه الفضيلة قول الله تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1]، وقوله: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2]، وفي هاتين الآيتين يرشدنا الحق تبارك وتعالى إلى أن الإنسان حينما ينفق "فإن الله لا يعطيه ثمن ما أنفق، وإنما يعطيه الله أجر العمل، لماذا؟ لأن المؤمن الذي يضرب في الأرض يخطط بفكره، والفكر مخلوق لله، وينفذ التخطيط الذي خططه بفكره بوساطة طاقاته وأجهزته؛ وطاقاتُه وأجهزته مخلوقة لله، ويتفاعل مع المادة التي يعمل فيها، وكلها مخلوقة لله، فأي شيء يملكه الإنسان في هذا كله؟ لا الفكر الذي يخطط، ولا الطاقة التي تفعل، ولا المادة التي تنفعل؛ فكلها لله. إذن فأنت فقط لك أجر عملك؛ لأنك تُعمل فكرًا مخلوقًا لله، بطاقة مخلوقة لله، في مادة

(1) سورة البقرة آية: 261.

(2) سورة البقرة آية: 274.

مخلوقة لله، فإن نتج منها شيء أراد الله أن يأخذه منك لأخيك العاجز الفقير فإنه يعطيك أجر عملك لا ثمن عملك. لكن المساوي لك في الخلق هو الإنسان إن أخذ منك حصيلة عملك فهو يعطيك ثمن ما أخذ منك، فهي من المخلوق المساوي «ثمن»، وهي من الخالق الأعلى أجر؛ لأنك لا تملك شيئا في كل ذلك.[1]

ولقد فرض الإسلام للفقراء في أموال الأغنياء حقًّا معلومًا يفيض به الآخرون على الأولين سدًّا لحاجة المعدم وتفريجًا لكربة الغارم وتحريرًا لرقاب المستعبدين وتيسيرًا لأبناء السبيل، فاستلّ بذلك ضغائن أهل الفاقة ومحص صدورهم من الأحقاد على من فضلهم الله عليهم في الرزق وأشعر قلوب أولئك محبة هؤلاء وساق الرحمة في نفوس هؤلاء على أولئك البائسين فاستقرت بذلك الطمأنينة في نفوس الناس أجمعين، وأي دواء لأمراض المجتمع أنجع من هذا، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم".[2]

ثانيًا: الترغيب والحث على القصد في المال:

على الإنسان أن ينفق من ماله ما استطاع لذلك سبيلًا كما يجب عليه أن يصلح ماله فإن "من أصلح ماله فقد صان الأكرمين: الدين، والعرض. ما عال مقتصدٌ. أصلحوا أموالكم لنبوة الزمان، وجفوة السلطان. الإصلاح أحد الكاسبين. لا عيلة على مصلحٍ، ولا مال لأخرق، ولا جود مع تبذير، ولا بخل مع اقتصادٍ. التدبير يثمر اليسير، والتبذير يبدد الكثير. حسن التدبير مع الكفاف أكفى من الكثير مع الإسراف. القصد

(1) تفسير الشعراوي (1182/2).

(2) رسالة التوحيد، المؤلف: محمد عبده بن حسن خير الله (المتوفى: 1323هـ) الناشر: دار الكتاب العربي، ص93.

أسرع تبليغًا إلى الغاية وتحصيلًا للأمر. إن في إصلاح مالك جمال وجهك، وبقاء عزك، وصون عرضك، وسلامة دينك. التقدير نصف الكسب. أفضل القصد عند الجدة. عليك من المال بما يعولك ولا تعوله. من لم يحمد في التقدير، ولم يذم في التبذير، فهو سديد التدبير".[1]

(1) التمثيل والمحاضرة، للثعالبي، ص428، مرجع سابق.

3) التوجيهات العلاجية في ضبط غريزة الشهوات والميول الجنسية

هناك توجيهات في ضبط غريزة الشهوات في الشريعة الإسلامية وهذه التوجيهات مستقاة من الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح عليهم رضوان الله تعالى، ومن هنا فإن هناك آثارًا نتيجة لعدم السير على منهج الإسلام.

أولًا: آثار الابتعاد عن منهج التيسير:

حينما يبتعد الإنسان عن منهج التيسير فإنه يصاب بآثار خطيرة تعود عليه وعلى المجتمع الذي يعيش فيه.

1) التكليف بما لا يطاق:

هناك أدلة من القرآن الكريم والسنة المطهرة توحي بالتيسير في التكاليف الشرعية، وهذه الأدلة وردت في مواطن عدة منها على سبيل المثال لا الحصر قول الله تعالى **في سورة البقرة: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾**[1]، وفي الآية نفسها: **﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾**[2]، وقال الله - تعالى- كما: **في صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد من حديث أبي هريرة ومن حديث ابن عباس أن الله عز وجل قال: (عند كل دعاء من هذا: قد فعلت، أو قال: نعم).**[3] وكذلك قوله: **﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾**[4]، ومن هنا فقد بين الحق ﷻ أن التكليف للنفس الإنسانية لا يتعدى طاقاتها؛ لأنها

(1) سورة البقرة من الآية: 286.

(2) سورة البقرة من الآية: 286.

(3)رَوَاهُ مُسْلِمٌ (327) ج 1/ 195.

(4) سورة البقرة من الآية: 286.

ضعيفة ومن ثم فهي لا تتحمل الأمر الذي فوق طاقاتها، ومن يتشدد في الأمر فإنه يتعرض لما يسمى في الشريعة الإسلامية (تكليف ما لا يطاق)، والمراد منه رفع المؤاخذة، وهو مستلزم لرفع التكليف، وأما ما يلزمه من الغرامات فقد سبق غير مرة. وأما إن لم ينته به إلى حدّ الاضطرار فهو مختار، وتكليفه جائز عقلاً وشرعًا".[1]

2) بيان التيسير في العبادات:

من المعلوم أن الشريعة مبنية على جلب التيسير والمنافع، وهذا هو منهج النبي ﷺ في حياته العملية، فحينما جاء الرهط إلى بيوته صلوات الله وتسليماته عليه؛ ليسألوا عن عبادته ﷺ لكنهم عدوها قليلة في نظرهم ولكن كان هذا هو المنهج المناسب للحياة القائم على التيسير وعدم المشقة أو الحرج. فلقد روى البخاري وغيره من حديث أَنَسِ بنِ مالِكٍ ﷺ قالَ: "جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ -ﷺ- يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادِ النَّبِيِّ -ﷺ-، فَلَمَّا أُخْبِرُوا، كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ - ﷺ-، قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا؛ فَإِنِّـي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالَ: "أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أَمَا وَاللَّهِ؛ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّى أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّى وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِى؛ فَلَيْسَ

(1) أصول الفقه، المؤلف: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الرامينى ثم الصالحي الحنبلي (المتوفى: 763هـ) حققه وعلق عليه وقدم له: الدكتور فهد بن محمد السَّدَحَان، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة: الأولى، 1420 ه - 1999م (1/ 290).

مِنِّى".[1] ومعنى فليس مني أي ليس بمسلم إن كان ميله عنها كرها لها أوعن عدم اعتقاد بها. أن كان غير ذلك فإنه مخالف لطريقتي السهلة السمحة التي لا تشدد فيها ولا عنت".[2] ومن هنا فقد تتضمن الإسلام كل مظاهر الوسطية، ومنها عدم إلزام الناس طريقة واحدة، أو نمطًا واحدًا من أنماط البر، فهناك الصائم، والقائم، والذاكر، والعالم، والمجاهد، وفاعل المعروف، والمتصدق... إلخ، وكلهم يؤدي شيئًا من الإسلام، ومجموع أعمالهم تمثل شريعة الإسلام الواسعة الشاملة، وهذا التنوع ليس مسوغًا لتنقص، ولا يدل على تمايز عند الله، وللجنة أبواب ثمانية، كل باب

---

(1) أخرجه البخاري في "صحيحه" (8 / 276 رقم 4615) في التفسير، باب: ﴿لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ﴾، و(9 / 116 و117 رقم 5071 و5075) في النكاح، باب تزويج المعسر الذي معه القرآن والإسلام، وباب ما يكره = من التبتُّل والخصاء، ومسلم في "صحيحه" (2 / 1022 رقم 11 و 12) في النكاح، باب نكاح المتعة، وبيان أنه أُبيح ثم نُسخ. كلاهما من حديث عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه - قال: كنا نغزو مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عليه وسلم- ليس لنا نساء، فقلنا: ألا نَسْتَخصي؟ فنهانا عن ذلك، ثم رَخَّص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل، ثم قرأ عَبْدُ اللَّهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾. اه. واللفظ لمسلم. وأخرج البخاري أيضًا في "صحيحه" (9 / 117 رقم 5073 و 5074) في النكاح، باب ما يكره من التبتُّل والخصاء. ومسلم (2 / 1020 و 1021 رقم 6 و 7 و8) في النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت إليه نفسه ووجد مؤنة. كلاهما من حديث سعد بن أبي وقّاص -رضي الله عنه- قال: رَدَّ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- على عثمان بن مظعون التبتُّل، ولو أذِنَ له لاختصينا، وعليه يتضح أن معنى الحديث صحيح بمجموع هذه الشواهد، والله أعلم.

(2) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺوسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ (7/ 2).

لضرب من ضروب البر. وهذا يفتح بابًا واسعًا في النظر والدعوة؛ إذ علينا أن نستفيد من جميع المسلمين ذكورهم وإناثهم، محسنهم ومقصرهم، كما كان يفعل سلف هذه الأمة، ففي جيش سعد، كان أبو محجن الثقفي، وكان القصاص، والقراء، والفرسان... إلخ، كل منهم يؤدي ما أقدره الله عليه، والله يتولى جميع عباده."[1]

ثانيا: الإفراط والتفريط:

من المعلوم أن الدين الإسلامي قائم على الوسطية التي هي عنوانه وهي تتضمن أنه (لا إفراط ولا تفريط)، ومن ثم فهو يتسم بها، ولا شك أن سهولة الدين تظهر في أوامره ونواهيه ومن ينظر إليه يجد أنه دين الوسط بين المادية الملحدة وبين الرهبانية. فبالنسبة لليهودية كانت وما تزال ترى أن المادة هي الهدف الأسمى. ولذا هي حريصة على الحياة المادية أكثر من كل شيء حتى إن عيسى -عليه السلام- كان يخاطبهم قائلًا: (لا تعبدوا ربين: الله والمال).[2] فقد جاء الإسلام منسجمًا معتدلًا، حيث أعطى كل جانب من جوانبه حقه، ووازن بينه وبين غيره. فوازن في مجال العقيدة بين الإيمان بالغيب والإيمان بالمحسوس، ووازن في جانب الشريعة بين متطلبات الجسد ومتطلبات الروح، وبين المصلحة الفردية والمصلحة الجماعية، وبين الواقعية والمثالية.[3]

---

(1) بحوث ندوة أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو، المؤلف: مجموعة من العلماء، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، 1425هـ، ص66.

(2) وسطية الإسلام وسماحته ودعوته للحوار، أ. د. محمد بن أحمد الصالح، ص44.

(3) التعريف بالإسلام، المؤلف: مركز قطر للتعريف بالإسلام، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية - بقطر إعداد للموسوعة الشاملة: إلياس شرادي، ص325.

4) التوجيهات العلاجية في ضبط غريزة الغضب

هناك عدة علاجات لغريزة الغضب جاء التنويه عنها في الكتاب والسنة المطهرة وهذا العلاج يتمثل في التالي:

1) الوضوء: وهذا هو أقوى علاج لضبط غريزة الغضب، والدليل على ذلك قول ابن مفلح:[1] (ويستحب أن يتوضأ لخبر عطية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من نار، وإنما تطفأ النار بالماء؛ فإذا غضب أحدكم فليتوضأ)).[2]

2) القعود إن كان واقفًا.

3) الاضطجاع إن كان قاعدًا: قال ابن مفلح في (الآداب الشرعية): (ويستحب لمن غضب أن يغير حاله، فإن كان جالسًا قام واضجع، وإن كان قائمًا مشى".[3]

4) أن يلتزم الإنسان بما جاء في السنة النبوية، فقد جاء في السنة النبوية ما يفسر ذلك فعن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن رجلًا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أوصني قال: ((لا تغضب فردد مرارًا قال: لا تغضب)).[4]

وفي هذا الحديث بيان من الرسول صلى الله عليه وسلم للنهي عن الغضب وهذا النهي إنما يراد به التحريم، ولذلك لما رأى أن جميع المفاسد التي تعرض للإنسان إنما هي من شهوته ومن غضبه وكانت شهوة السائل مكسورة فلما سأل عما يحترز به عن القبائح نهاه عن الغضب الذي هو

---

(1) الآداب الشرعية، لابن مفلح (2/ 261) مرجع سابق.

(2) رواه أبو داود (4784)، وأحمد (4/ 226) (18014)، والطبراني في ((الكبير)) (17/ 167). وحسنه السيوطي في ((الجامع الصغير)) (2080)، وضعفه الألباني في ((السلسلة الضعيفة)) (582).

(3) الآداب الشرعية، لابن مفلح (2/ 261) مرجع سابق.

(4) رواه البخاري (6116).

أعظم ضررًا من غيره وأنه إذا ملك نفسه عند حصوله كان قد قهر أقوى أعدائه".[1]

وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقوم يصطرعون فقال: ((ما هذا قالوا فلان ما يصارع أحدًا إلا صرعه قال أفلا أدلكم على من هو أشد منه رجل كلمه رجل فكظم غيظه فغلبه وغلب شيطانه وغلب شيطان صاحبه)).[2]

وهناك أحاديث تشير إلى النهي عن الغضب ضربها الرسول صلى الله عليه وسلم من أجل أن يأخذ الإنسان الحيطة والحذر، ومن ذلك ما رواه زيد بن ثابت، رضي الله عنه، قال: ((احتجر رسول الله صلى الله عليه وسلم حجيرة مخصفة، أو حصيرًا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيها فتتبع إليه رجال وجاؤوا يصلون بصلاته ثم جاؤوا ليلة فحضروا وأبطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فلم يخرج إليهم فرفعوا أصواتهم وحصبوا الباب فخرج إليهم مغضبًا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زال بكم صنيعكم حتى ظننت أنه سيكتب عليكم فعليكم بالصلاة في بيوتكم فإن خير صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة)).[3]

ومن تلك الأحاديث التي ضربها الرسول صلى الله عليه وسلم ما حدث له عندما اشتكى رجل من معاذ ابن جبل حينما أطال في قراءة

---

(1) فتح الباري، لابن حجر (10/ 520).

(2) رواه البزار (13/ 475)، والخرائطي في ((مكارم الأخلاق)) (1/ 329) (52). قال الهيثمي في ((المجمع)) (8/ 71): فيه شعيب بن بيان وعمران القطان، وثقهما ابن حبان وضعفهما غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح. وحسن سنده الألباني في ((السلسلة الصحيحة)) (3295).

(3) رواه البخاري (6113)، ومسلم (781)

القرآن في الصلاة الجهرية فنهاه عن ذلك التطويل لأنه يسبب التنفير من دين الإسلام فعن أبي مسعود، رضي الله عنه، قال: ((أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني لأتأخر عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يطيل بنا قال فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قط أشد غضبًا في موعظة منه يومئذ قال فقال يا أيها الناس إن منكم منفرين فأيكم أمَّ بالناس فلْيخفّف فإن فيهم المريض والكبير وذا الحاجة)).[1]

ونختم هذا الكلام بما جاء عند حجة الإسلام الإمام الغزالي في كتابه الإحياء مبينًا أن الغضب ما هو إلا علامة لضعف النفس الإنسانية عند غريزة الغضب (وآية أنه لضعف النفس - أي الغضب - أن المريض أسرع غضبًا من الصحيح والمرأة أسرع غضبًا من الرجل والصبي أسرع غضبًا من الرجل الكبير والشيخ الضعيف أسرع غضبًا من الكهل وذو الخلق السيىء والرذائل القبيحة أسرع غضبًا من صاحب الفضائل فالرذل يغضب لشهوته إذا فاتته اللقمة ولبخله إذا فاتته الحبة حتى أنه يغضب على أهله وولده وأصحابه، بل القوي من يملك نفسه عند الغضب كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم).[2]

(1) رواه البخاري (6110)، ومسلم (466).

(2) إحياء علوم الدين، للغزالي (3/ 172).

المراجع

1- إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ) دار المعرفة – بيروت.

2- أخرجه الترمذي، صحيح سنن الترمذي، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة التربية العربي لدول الخليج، الرياض، رقم (1939).

3- أخرجه: ابن حبان في "المجروحين" 204/1، وابن عدي في "الكامل" 279/2، وأبو أحمد العسكري في "أخبار المصحفين": 64 عن الحسن، عن أنس مرفوعًا.، قال الدارقطني: الأشبه بالصواب أنه من قول الحسن. انظر: " كشف الخفاء.

4- أدب الدنيا والدين، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ) الناشر: دار مكتبة الحياة، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: 1986م.

5- الأدب الصغير، المؤلف: عبد الله بن المقفع (المتوفى: 142هـ) قَرَأَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ: وائلُ بْنُ حَافِظِ بْنِ خَلَفٍ، الناشر: دار ابن القيم بالإسكندرية.

6- أزمات الشباب أسباب وحلول، المؤلف: القاضي محمد أحمد كنعان، تم تبييض الكتاب في شهر محرّم عام 1411هـ الموافق لشهر آب عام 1990م، الناشر: دار البشائر - بيروت لبنان.

7- الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة المعروف بالموضوعات الكبرى، المؤلف: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: 1014هـ) المحقق: محمد الصباغ، الناشر:

دار الأمانة / مؤسسة الرسالة – بيروت، ص320، المقاصد الحسنة: 389، ويراجع أيضًا: رسالة الدكتور عمر بن حسن فلاتة في الوضع في الحديث.

8- أسس الفلسفة الماركسية، ق. افاناسييف ص 9، ترجمة عبد الرزاق الصافي، وقد ذكر لي أ. د. محمود مزروعة أثناء المناقشة اختلاف الماديين في تعريف المادة.

9- أصول الفقه، المؤلف: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الرامينى ثم الصالحي الحنبلي (المتوفى: 763هـ) حققه وعلق عليه وقدم له: الدكتور فهد بن محمد السَّدَحَان، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة: الأولى، 1420هـ-1999م.

10- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751ه) المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

11- أوضح التفاسير، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (المتوفى: 1402هـ)، المطبعة المصرية ومكتبتها، الطبعة: السادسة، رمضان 1383هـ - فبراير 1964م.

12- بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، المؤلف: أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (المتوفى: 380هـ) المحقق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل - أحمد فريد المزيدي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، 1420هـ-1999م.

13- بحوث ندوة أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو، المؤلف: مجموعة من العلماء، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، 1425هـ.
14- . تاريخ الفلسفة الحديثة، المؤلف: يوسف بطرس كرم (المتوفى: 1959م) مكتبة الدراسات الفلسفية، الطبعة: الخامسة.
15- التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: 1984.
16- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (المتوفى: 1353هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
17- التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، محمد منير مرسي، عالم الكتب، الطبعة: طبعة مزيدة ومنقحة 1425هـ/ 2005م.
18- التربية الإسلامية ومراحل النمو، عباس محجوب، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة 13 / العدد 52 - 1401هـ.
19- التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية، د/ علي علي صبح، نشر المكتبة الأزهرية للتراث.
20- التعريف بالإسلام، المؤلف: مركز قطر للتعريف بالإسلام، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية – بقطر، إعداد للموسوعة الشاملة: إلياس شرادي.

21- تفسير الشعراوي – الخواطر محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ) مطابع أخبار اليوم، نشر عام 1997م) (11/ 6992).
22- تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، 1422هـ-2001م.
23- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990م.
24- تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى - 1419هـ
25- تفسير الماوردي = النكت والعيون، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ) المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.
26- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة: الثانية، 1418هـ.

27- فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ) الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - 1414هـ.
28- التفسير الواضح، المؤلف: الحجازي، محمد محمود، الناشر: دار الجيل الجديد – بيروت، الطبعة: العاشرة - 1413هـ.
29- التفسير الوسيط للزحيلي المؤلف: د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة: الأولى - 1422هـ.
30- تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: 502هـ) دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان، عام النشر: 1983م.
31- تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: 502هـ) دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان، عام النشر: 1983م.
32- التمثيل والمحاضرة، المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: 429هـ) المحقق: عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: الدار العربية للكتاب، الطبعة: الثانية، 1401هـ-1981م.
33- التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِعِ الصَّغِيرِ، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: 1182هـ) المحقق: د.محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة: الأولى، 1432هـ-2011م.
34- تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، المؤلف: أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (المتوفى: 421هـ) حققه وشرح غريبه: ابن الخطيب، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة: الأولى.

35- التوجيه والإرشاد النفسي، الدكتور حامد عبد السلام زهران، عالم الكتب، الطبعة: الثالثة.
36- التوجيه والإرشاد النفسي، المؤلف: الدكتور حامد عبد السلام زهران، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الثالثة.
37- التوجيه والإرشاد النفسي، المؤلف: الدكتور حامد عبد السلام زهران.
38- توجيهات إسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع، المؤلف: محمد بن جميل زينو، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1418هـ.
39- التوضيح لشرح الجامع الصحيح، المؤلف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: 804ه) المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الناشر: دار النوادر، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، 1429هـ-2008م.
40- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ) تحقيق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1424هـ-2004م.
41- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، 1422هـ.
42- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد

بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671ه) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384ه - 1964م.

43- الحيوان، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: 255ه) دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، 1424هـ (1/ 73).

44- خلاصة علم النفس، أحمد فؤاد الأهواني، مطبعة الشباب الحديثة، الطبعة الثالثة.

45- دراسة في التصوف الإسلامي، د/ محمد الانور، ط1، 1410ه، 1989م، شركة الصفا للطباعة والترجمة والنشر، عبد الخالق ثروت القاهرة.

46- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: 808هـ) المحقق: خليل شحادة، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1408هـ-1988م.

47- رسالة التوحيد، المؤلف: محمد عبده بن حسن خير الله (المتوفى: 1323ه) الناشر: دار الكتاب العربي.

48- الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر - دمشق، الطبعة: الثانية، 1418هـ (6/ 77).

49- السباق إلى العقول، الدكتور عبد الله قادري الأهدل، الناشر: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.

50- السبق التربوي: مفهومه ومنهجه ومعالمه في ضوء النهج الإسلامي، خالد بن حامد الحازمي. الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة السادسة والثلاثون - العدد (123) 1424هـ/2004م.
51- شبهات المشككين، المؤلف: مجموعة من المؤلفين، المصدر: موقع وزارة الأوقاف المصرية، ص139.
52- شرح سنن أبي داود، المؤلف: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن رسلان المقدسي الرملي الشافعي (المتوفى: 844 ه) تحقيق: عدد من الباحثين بدار الفلاح بإشراف خالد الرباط، الناشر: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، 1437هـ-2016م.
53- طرق تدريس التربية الإسلامية نماذج لإعداد دروسها، دكتور/ عبد الرشيد عبد العزيز سالم وكالة المطبوعات، الطبعة: الثالثة 1402هـ-1982م.
54- علم الأخلاق الإسلامية، مقداد يالجن محمد علي، نشر، دار عالم الكتب للطباعة والنشر – الرياض، الطبعة: الأولى 1413ه- 1992م الطبعة الثانية 1424هـ-2003م، ص79.
55- علم نفس النمو من الجنين إلى الشيخوخة، المؤلف: عادل عز الدين الأشول، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية.
56- غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، المؤلف: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: 1188هـ) الناشر: مؤسسة قرطبة-مصر، الطبعة: الثانية، 1414هـ/ 1993م.
57- فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر

أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، 1379هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

58- الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، 1393هـ-1973م.

59- فيض القدير شرح الجامع الصغير، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ) الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، 1356هـ.

60- كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816ه) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ-1983م.

61- لا تحزن، المؤلف: عائض بن عبد الله القرني، الناشر: مكتبة العبيكان.

62- الأديان والمذاهب، كود المادة: GUSU5053، المرحلة: ماجستير، المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية، الناشر: جامعة المدينة العالمية.

63- مختار الصحاح، المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ) المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، 1420هـ/ 1999م.

64- مُخْتَصَرُ مِنْهَاجِ القَاصِدِينْ، المؤلف: نجم الدين، أبو العباس، أحمد

بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي (المتوفى: 689ه) قدم له: الأستاذ محمد أحمد دهمان، الناشر: مكتَبَةُ دَارِ البَيَانْ، دمشق، عام النشر: 1398هـ-1978م.

65- مُخْتَصَرُ مِنْهَاجِ القَاصِدِينْ، المؤلف: نجم الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي (المتوفى: 689هـ) قدم له: الأستاذ محمد أحمد دهمان.

66- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751ه) المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، 1416هـ-1996م.

67- المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، المؤلف: د. غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية-جدة، الطبعة: الأولى 1427ه-2006م.

68- المسالِك في شرح مُوَطَّأ مالك، المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: 543هـ) قرأه وعلّق عليه: محمد بن الحسين السُّليماني وعائشة بنت الحسين السُّليماني، قدَّم له: يوسف القَرَضَاوي، الناشر: دَار الغَرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 1428هـ-2007م.

69- المسلمون بين التشديد والتيسير للعودة، والوسطية في الإسلام.

70- مشكلة التشاؤم في فكر الفيلسوف شوبنهاور عرض ونقد، للدكتور / محمد بيومي البربري، بحث منشور في قطاع أصول الدين بالقاهرة جامعة الأزهر، سنة النشر 2024م.

71- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، المؤلف: محيي

السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: 510هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 1420هـ.

72- المعجم الفلسفي/ الدكتور جميل صليبا (1/ 557).

73- معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي، نشر، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1408هـ-1988م.

74- معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399هـ-1979م.

75- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) نشر، دار الكتب العلمية – بيروت.

76- مقاصد الرعاية لحقوق الله عز وجل أو مختصر رعاية المحاسبي، المؤلف: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: 660هـ) المحقق: إياد خالد الطباع، الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة: الأولى، 1416هـ-1995م.

77- من قضايا التربية الدينية في المجتمع الإسلامي، المؤلف: كمال الدين عبد الغني المرسي، الناشر: دار المعرفة الجامعية، الطبعة: الأولى 1419هـ/ 1998م.

78- مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها، على أحمد مدكور، الناشر: دار الفكر العربي، الطبعة: 1421هـ-2001م.

79- المنتقى شرح الموطأ، المؤلف: أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (المتوفى: 474هـ) الناشر: مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، الطبعة: الأولى، 1332هـ، (ثم صورتها دار الكتاب الإسلامي، القاهرة - الطبعة: الثانية، بدون تاريخ).
80- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، 1392هـ.
81- موارد الظمآن لدروس الزمان، خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان، المؤلف: عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن السلمان (المتوفى: 1422هـ) الطبعة: الثلاثون، 1424هـ.
82- المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة من بحث الشيخ إبراهيم سرسيق.
83- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، المؤلف: محمد راتب النابلسي، الناشر: دار المكتبي - سورية - دمشق - الحلبوني - جادة ابن سينا.، الطبعة: الثانية 1426هـ-2005م.
84- نداء الريان في فقه الصوم وفضل رمضان، المؤلف: أبو التراب سيد بن حسين بن عبد الله العفاني، قدم له: أبو بكر الجزائري - محمد صفوت نور الدين - محمد عبد المقصود، توزيع: دار ماجد عسيري–جدة.
85- النظرية المادية في المعرفة، روجيه غارودي، ترجمة محمد عيتاني، وانظر: تمهيد للفلسفة، د. محمود زقزوق.

86- نقلا عن كتاب الوسطية في ضوء القرآن الكريم، المؤلف: ناصر بن سليمان العمر.
87- النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ) الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ-1979م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي.
88- وسطية الإسلام وسماحته ودعوته للحوار، المؤلف: أ. د. محمد بن أحمد الصالح، الناشر: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.
89- الوسطية في ضوء القرآن الكريم، المؤلف: ناصر بن سليمان العمر، الناشر: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.

المحتويات

المقدمة 3

المبحث الأول

ماهية الغرائز والدوافع ومكانتهما في الفكر الإنساني..... 5

الغريزة في اللغة..... 5

الغريزة في الاصطلاح 6

تعريف الدافع في اللغة..... 7

تعريف الدافع في الاصطلاح..... 7

طبيعة الغرائز وأهميتها..... 8

الباعث الإلهي للغرائز والدوافع..... 9

أنواع الدوافع 10

علاقة الدوافع بالدين والأخلاق 10

الإسلام يمدح الحياة ويهتم بها.....12

الإنسان بين الحقيقة والغاية.....13

المبحث الثاني

مميزات الغرائز وصورها في الفكر الإنساني.....17

مميزات الغرائز الإنسانية.....17

أهمية الوراثة في حياة الإنسان 18

أثر الوراثة والبيئة.....20

أثر الوراثة والبيئة على الإنسان.....20

تفاوت الناس في الوراثة 22

صور الغرائز الإنسانية في علم النفس.....24

أنواع الغرائز البشرية.....25

المبحث الثالث

الغرائز الإنسانية لدى بعض الماديين والجدليين.....26

المقصود بالماديين والجدليين.....26

الآثار السلبية للإيمان بالماديات 27

الغريزة عند بعض الماديين المحدثين 28

أنصار المادية الحديثة 28

المبحث الرابع

معاول الهدم في غريزة الطعام والشراب 34

غريزة الطعام والشراب وأهميتها.....34

الصحة النفسية.....35

وسائل هدم غريزتي الطعام والشراب.....35

أولًا: تناول الخبائث.....35

ثانيًا: الإسراف والتبذير.....38

الإسراف لغة واصطلاحًا 38

معنى التبذير لغة واصطلاحًا.....39

الإسراف في الأكل والشبع المفرط.....40

الإسراف في الأكل يضر بالبدن.....43

المبحث الخامس

معاول الهدم في غريزة حب المال وإساءة استخدامها.....46

غريزة حب المال في القرآن الكريم.....46

غريزة المال ووسائل هدمها.....47

البخل والشح.....47

معنى البخل والشح لغة واصطلاحًا 47

الأثر المترتب عليهما في الدنيا 48

النهي عن الإسراف والتبذير.....49

المبحث السادس

معاول الهدم في غريزة الميول الجنسية وإساءة استخدامها.....51

غريزة الشهوات (والميول الجنسية).....52

غريزة الشهوات وعوامل انتكاسها.....52

الاضطرابات النفسية والجسدية 52

ظهور الانحلال الخلقي في المجتمع.....53

أثر الاختلاط المحرم على المجتمع 54

التربية الجنسية 55

توجيهات القرآن الكريم نحو هذه الغريزة 56

المبحث السابع

معاول الهدم في غريزة الغضب وإساءة استخدامها.....61

معنى الغضب لغة واصطلاحًا 61

أقسام غريزة الغضب 62

أسباب الغضب غير المحمود.....66

المبحث الثامن

معاول الهدم في غريزة العُجْب وإساءة استعمالها.....68

معنى العجب لغة واصطلاحًا.....68

ذم العجب والنهي عنه في السنة 70

آثار غريزة العجب في المنظور الإسلامي.....71

معاول الهدم في غريزة العجب 73

المبحث التاسع

نظرة الإسلام إلى الغرائز والدوافع الإنسانية.....79

1) التوجيه الإلهي في ضبط غريزتي الطعام والشراب.....80

التوازن في ضبط شهوتي الطعام والشراب.....80

تأثير الصيام الإسلامي على وزن الجسم 80

تأثير الصيام على قرحة المعدة.....81

التوازن النتروجيني في الجسم 82

الصيام وآلية الهضم 82

2) التوجيهات العلاجية في ضبط غريزة حب المال 85

أولًا: الترغيب والحث على الجود والكرم والسخاء.....85

ثانيًا: الترغيب والحث على القصد في المال 86

3) التوجيهات العلاجية في ضبط غريزة الشهوات والميول الجنسية.....88

أولًا: آثار الابتعاد عن منهج التيسير.....88

ثانيا: الإفراط والتفريط.....91

4) التوجيهات العلاجية في ضبط غريزة الغضب 92